*مجلة العلوم العربية والإنسانية*
*جامعة القصيم*، المجلد (١٢)، العدد (١)، ص ص ٤٦٣-٥١٥، (محرم ١٤٤٠هـ/ سبتمبر ٢٠١٨)

# نماذج من مشاركات الرحالة العلماء المغاربة في المجتمع المكي في القرن ١١هـ / ١٧م

**د. عواطف بنت محمد بن يوسف نواب**
*أستاذ مشارك . جامعة أم القرى*

**ملخص البحث.** سكن بمكة المشرفة العديد من الجنسيات الإسلامية في القرن ١١ هـ / ١٧ م؛إما مجاورين مجاورة طويلة أو قصيرة، وربما قضى بها بعضهم بقية حياته إلى وفاته. وقد ساهمت هذه الجنسيات في حضارة وثقافة مكة المشرفة. ومن هؤلاء الذين عاشوا في مكة المشرفة المغاربة، الذين كانوا رسل العلم والثقافة والتاريخ، فكان منهم من نذر حياته لخدمة المجتمع المكي، ومنهم من تصدر لنشر العلم والتأليف، ومنهم من كانت له سلطة سياسية خدم بها المجتمع المكي، فالوضع في مكة المشرفة كان ملائماً سياسياً في تلك الفترة لاستقرار الجاليات الإسلامية، بالإضافة إلى ما كان يلقاه العلماء المغاربة من احترام متبادل بينهم وبين أشراف مكة المشرفة، فنتج عن ذلك رواج علمي وخاصة في علم الحديث الشريف، حتى عُد هذا القرن قرن علماء الحديث.

## المقدمة

الحمد لله غافر الذنب وقابل التوب، منزل الكتاب، وصل الله على رسول البيان وصفوة الخلق أجمعين محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه وزوجاته أمهات المؤمنين وذرتيه وسلم تسليماً كثيرا.

تساكنت بمكة المشرفة العديد من الجنسيات المسلمة التي جاورت بها، واستكانت في العيش فوق ثراها؛ وما ذاك إلا لأنه هُيء بها من الأسباب التي ساعدتهم على المكوث بها خلال القرن ١١ هـ / ١٧ م. فكانت محط رحال العديد منهم؛ في مجاورة قد تقصر أو تطول، وربما يقضي بعضهم بقية حياته بها؛ فحال مكة المشرفة بذلك حال الحاضنة والبوتقة المتلقية لعلوم وثقافات مختلف الجنسيات، ومنها مسلمو المغرب.

وكان من هؤلاء المغاربة ممن ساير أوضاع عصره مكتفياً بالقيام بواجبه العلمي فقط مثل أبي مهدي الثعالبي، ومنهم من انغمس في خدمة المجتمع المكي ومواساة أهله مثل: عبد الرحمن المكناسي؛ ومنهم من انزوى لا يخالط أحداً لتبرمه من الأحوال التي كانت سائدة وقتئذ؛ لعدم مقدرته على إصلاحها، أو التصدي لها، ولكن عندما واتته الفرصة لم يتوان وشمر عن ساعد الجد وأرجع الحقوق لأصحابها مثل: محمد بن سليمان الروداني.

فأمثال هؤلاء الرحالة العلماء المغاربة خلدوا ذكرهم، وأنبؤا عن عظمة موطنهم الذي أنجبهم، فكان لمكة المشرفة الفضل الكبير في بروزهم، كيف لا وهي الملتقى العلمي المفتوح والمؤتمر الدائم الانعقاد، يحضره الراغبون في الأخذ والعطاء بدون تمييز من سائر علماء الأمة الإسلامية، فما وجد من علماء بها هم

الصفوة علماً وصلاحاً وخُلقاً، فحشود العلماء القادمة والقافلة إليها ومنها لم تتوقف حتى في أحلك الظروف.

وفي هذا البحث سنحاول إلقاء الضوء على بعض هؤلاء العلماء الرحالة الأفذاذ الذين قدموا لمكة المشرفة وجاورا بها، وكان منهم من توفى ودفن في ترابها، ومنهم من عاد إلى موطنه. وبعد الاطلاع على بعض كتب تراجم القرن ١١ هـ / ١٧ م وجدت عدداً من العلماء الرحالة المغاربة ممن كانت لهم إسهامات ملموسة بها؛ خاصة وأن علماء المغاربة كان مرحباً بهم فيها، وبالتالي كانوا كُثراً، ولكل واحدٍ منهم اسمٌ وسمتٌ ولقبٌ يعرف به بين المجتمع المكي[(١)]. فعزمت متوكلة على الله تعالى أن أبرز بعض عطاءاتهم، وما قدموه خدمة لأهل مكة المشرفة والقادمين عليها؛ عرفاناً بجميلهم وتأكيداً لأهمية مكة المشرفة العلمية والثقافية؛ وبيان عمق الروابط المغربية المتجذرة في تلك الفترة مع البلد الحرام وأهله.

وعليه سيقسم البحث إلى ثلاثة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول: الأحوال بمكة المشرفة في القرن ١١ هـ / ١٧ م.

أ) الأحوال السياسية.

ب) الأحوال الاجتماعية.

ج) الأحوال الاقتصادية.

د) الأحوال الدينية والثقافية.

المبحث الثاني: بعض الرحالة العلماء المغاربة بمكة المشرفة وهم:

---

(١) **العصامي**، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك ( ت ١١١١ هـ / ١٦٩٩ م ): **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**، المكتبة السلفية، القاهرة، د. ت، ٤ / ٥٢٧.

١ -أحمد بن محمد بن أحمد المقري (ت ١٠٤١ هـ / ١٦٣١ م).

٢ -خالد بن محمد بن محمد بن عبد الله الجعفري المغربي (ت١٠٤٤ هـ / ١٦٣٤ م).

٣ -محمد عاشور المغربي المالكي (ت بعد ١٠٧٠ هـ / ١٦٥٩ م).

٤ -إبراهيم بن محمد الأنسي السوسي المغربي (ت ١٠٨٠ هـ / ١٦٦٩ م).

٥ -أبو مهدي عيسى بن محمد بن محمد بن أحمد الثعالبي (ت ١٠٨٠ هـ / ١٦٦٩ م).

٦ -أحمد بن عبد العزيز السلجلماسي العباسي (ت ١٠٨٥ هـ / ١٦٧٤ م).

٧ -عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن المكناسي (ت ١٠٨٥ هـ / ١٦٧٤ م)

٨ -محمد الشهير بالمرابط ابن محمد القشتاوي الدلائي المغربي (ت ١٠٩٠ هـ / ١٦٧٩

٩ -محمد بن سليمان الروداني السوسي (ت ١٠٩٤ هـ / ١٦٨٢ م).

المبحث الثالث: دور الرحالة العلماء المغاربة في الحياة العامة بمكة المشرفة.

الخاتمة: تتضمن أهم نتائج البحث.

ثبت المصادر والمراجع.

الفهرس.

## المبحث الأول: الأحوال العامة بمكة المشرفة في القرن ١١ هـ / ١٧ م

### أ) الأحوال السياسية

إن المتصفح لتاريخ مكة المشرفة طوال القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي ؛ يجد أنه مرت به سنوات هدوء ، وأُخرى عاصفة ، فقد تولى حكمها نحو ثلاثة وعشرين شريفاً مابين الاستقلال والشراكة والنيابة ، بداية من الشريف حسن بن أبي نمي[٢] . وانتهاءً بالشريف أحمد بن غالب[٣].وخلالهما تولى إمارة مكة المشرفة أمراء

---

(٢) الشريف حسن بن أبي نمي محمد بن بركات بن محمد ولد عام ( ٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م ) وكان مشاركاً لأبيه، ثم مستقلاً بالإمارة عام ( ٩٩٢ هـ / ١٥٨٤ م ). أحكم قبضته على الحجاز، وضبط الأمور بها من أمن ونظام، وكف في عهده عبث المفسدين؛ فكثر الحجاج ورغبوا في البقاء بها، أثنى عليه الكثير من المؤرخين، عُرف بحبه للعدل والعلماء والعلم. توفى عام ( ١٠١٠ هـ / ١٦٠١ م ).**المحبي**، محمد فضل الله بن محب الله ( ت ١١١١هـ / ١٦٩٩ م ): **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، بيروت، دار صادر، د. ت. ٢ / ٢ – ١٤.

(٣) الشريف أحمد بن غالب بن محمود بن مسعود بن الحسن، تولى إمارة مكة المشرفة بمرسوم سلطاني عام ( ١٠٩٩ هـ / ١٦٨٧ م ). وقيل أنه تولاها بسبب رشوة متصرف جدة، ولم يلبث أن أختلف مع بقية الأشراف ذوي زيد عام ( ١١٠٠ هـ / ١٦٨٨ م ) فخرجوا عليه وأستمالوا العرب، وأخبروا والي مصر بما حدث من كثرة القتل والسرقة بمكة المشرفة، حتى لم يستطع السيطرة على الأمور، فخرج من مكة المشرفة متوجهاً إلى اليمن. وكانت مدة إمارته ( سنة وتسعة أشهر وعشرين يوماً ). **جارشلي**،إسماعيل حقي أوزون: **أمراء مكة المكرمة في العهد العثماني**، ترجمة د / خليل علي مراد، منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، شعبة دراسات العلوم الاجتماعية ( ٧٥ ). ط ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م. ص ١٢٣ – ١٢٤؛ **الطبري**، الجمال الأخير محمد بن علي بن فضل ( ت ١١٧٣ هـ / ١٧٦٠ م ): **تاريخ مكة إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن**، تحقيق د / محسن محمد حسن سليم، القاهرة، دار الكتاب الجامعي، ط ١، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م. ٢ / ١٤٤ –١٤٦، ١٥٦ – ١٥٨؛ **عبد الغني**، عارف: **تاريخ أمراء مكة المكرمة من ٨ – ١٣٤٤ هـ**. دمشق، دار البشائر، ط ١، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م. ص ٧٦٣ – ٧٦٤.

عُرفوا بالقوة والحزم وضبط الأمور مثل: الشريف مسعود بن الحسن بن أبي نمي[٤]، والشريف عبد المطلب بن الحسن[٥]، والشريف أبو طالب بن الحسن[٦]، والشريف مسعود بن إدريس[٧] والشريف زيد بن محسن بن حسين[٨]. وغيرهم.

ولا يعني هذا أنه لم تحدث بمكة المشرفة قلاقل واضطرابات أفسدت عليها أمنها وهدوءها؛ ولكن كان الأعم الأغلب تسيد الأمن والاطمئنان داخلها، وإن وجدت بعض الحوادث التي نتجت عن تصارع الأشراف على السلطة مثلما حدث في عهد

---

(٤) الشريف مسعود بن الحسن بن ابي نمي كان أميراً على مكة المشرفة بالوكالة، ناب عن والده، صحب العلماء والفضلاء، توفي عام (١٠٠٣ هـ / ١٥٩٤ م ) عبد الغني: **تاريخ أمراء مكة**، ص ٧٠٩.

(٥) الشريف عبد المطلب بن الحسن بن أبي نمي، أشتهر بالشجاعة، كان من أهل الفضل، وأفضل أهل زمانه عقلاً، لبس الخلعة الثانية بعد أبيه، الذي أعتمد عليه في أمورٍ كثيرةٍ، توفى عام ( ١٠١٠ هـ / ١٦٠١ م ) بعد وفاة والده بقليل. المحبي: **خلاصة الأثر**، ٣ / ٨٦؛ جارشلي: **أمراء مكة المكرمة**، ص ١٠٦ – ١٠٧؛ عبد الغني: **تاريخ أمراء مكة المكرمة**، ص ٧١٠.

(٦) الشريف أبو طالب بن الحسن بن أبي نمي، فاق أخوته جميعاً بسداد الرأي والوقار والشجاعة تولى إمارة مكة المشرفة عام ( ١٠١٢ هـ م ١٦٠٣ م ) خافته البوادي والعربان لسطوته، توفي في نفس العام. المحبي: **خلاصة الأثر**، ١ / ١٣١ – ١٣٤؛ جارشلي: **أمراء مكة المكرمة**، ص ١٠٧ – ١٠٨؛ عبد الغني: **تاريخ أمراء مكة المكرمة**، ص ٧١١ – ٧١٢.

(٧) الشريف مسعود ن إدريسبن الحسن تولى إمارة مكة المشرفة بعد الشريف أحمد بن عبد المطلب حُمدت سيرته، وعرف بكرمه وشجاعته ورعايته لرجال العلم توفى عام ( ١٠٤٠ هـ / ١٦٣٠ م ). جارشلي: **أمراء مكة المكرمة**، ص ١١١؛ عبد الغني: **تاريخ أمراء مكة المكرمة**، ص ٧٢٣.

(٨) الشريف زيد بن محسن بن حسين بن حسن تولى إمارة مكة المشرفة مشاركاً للشريف محمد بن عبد الله بن حسن، ثم إنفرد بها بعد مقتل الشريف محمد بن عبد الله؛ كان يتكلم التركية، عم الحجاز في عهده الأمن، توفى عام ( ١٠٧٧ هـ / ١٦٦٦ م ). جارشلي: **أمراء مكة المكرمة**، ص ١١٣ – ١١٥؛ عبد الغني: **تاريخ امراء مكة المكرمة**، ص ٧٢٧ – ٨٣١.

الشريف سعيد بن بركات[٩]. وبقية الأشراف[١٠]. وقد وصف علي الطبري هذه الاضطرابات بالسهلة، وتحدث في أيام موسم الحج بعضها داخل مكة المشرفة والباقي خارجها[١١].

أما السنوات التي مرت على مكة بهدوء ونعُمت فيها بالأمن والاستقرار؛ فكانت في عهد الشريف حسن بن أبي نمي، إذ شهد بذلك أديب وشاعر الحجاز القاضي أحمد بن الفضل باكثير[١٢] في مرثية قالها عند وفاته منها:

فطالما هذه المشاعر عُمرت في ملكه بتراحم الأخيار ولطالما بات الحجيج براحة في أمنه من سطوة الأشرار

---

(٩) الشريف سعيد بن بركات بن محمد تولى إمارة مكة المشرفة عام ( ١٠٩٣ هـ / ١٦٨٢ م ) ولم يوفق في جمع كلمة الأشراف حوله بعد أن أخفى أمراً سلطانياً يتضمن تقسيم الأرباع، فكثر النهب والسرقة حتى خافت الناس وتركوا صلاة الفجر والعشاء في المسجد الحرام خوفاً من القتل؛ فحسمت الدولة العثمانية الأمر بتعيين الشريف أحمد بن غالب بدلاً عنه، فخرج منها الشريف سعيد عام ( ١٠٩٥ هـ / ١٦٨٣ م ). الطبري: **إتحاف فضلاء الزمن**، ٢ / ١٢٧ – ١٢٩؛ جارشلي: **أمراء مكة المكرمة**، ص ١٢٣؛ عبد الغني: **تاريخ أمراء مكة المكرمة**، ص ٧٥٣ – ٧٥٥.

(١٠) جارشلي: **أمراء مكة المكرمة**، ص ١٢٣؛ عبد الغني: **تاريخ أمراء مكة المكرمة**، ص ٧٥٣ – ٧٥٥.

(١١) **الطبري**، علي بن عبد القادر ( ت ١٠٧٠ هـ / ١٦٥٩ م ): **الأرج المسكي في التاريخ المكي وتراجم الملوك والخلفاء**، إشراف سعيد عبد الفتاح، تحقيق وتقديم أشرف أحمد الجمال، مكة المكرمة، مكتبة مصطفى أحمد الباز، ط ١، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م. ص ١٢٣، ١٢٥.

(١٢) أحمد بن الفضل بن محمد باكثير المكي ولد عام ( ٩٨٥ هـ / ١٥٧٧ م ) من أدباء الحجاز المتمكنين، كان مقرباً من أشراف مكة المشرفة؛ ووصل الأمر لدرجة أنه كان ينيب عن أميرها عندما يكون خارجها، توفي عام ( ١٠٤٧ هـ / ١٦٣٧ م ). المحبي: **خلاصة الأثر**، ١ / ٢٧١ – ٢٧٣؛ **أبو الخير**، الشيخ عبد الله مرداد: **المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر**، إختصار وترتيب وتحقيق محمد سعيد العامودي وأحمد علي، جدة، عالم المعرفة، ط ٢، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م. ص ٧٦ – ٧٧.

وأزداد ذا البلد الأمين وأهله أمناً على أمن العظيم الباري
لهفي على كهف المساكين الذي أمنوا به من كل خوفٍ طاري[١٣]

ولولا ما أحدثه وزيره عبد الرحمن بن عتيق[١٤] من ضررٍ بعامة الناس، خاصة في السنوات الأخيرة من حياة الشريف حسن بن أبي نمي لكمل أمن مكة المشرفة في عهده[١٥].

وفي عهد الشريف أبي طالب بن الحسن الذي تولى بعد وفاة أبيه، يسارع بإرجاع الحقوق لأصحابها تلك التي اغتصبها منهم ابن عتيق؛ فأمن في فترته الحاضر والبادي، ولكنه لم يلبث أن توفى عام (١٠١٢ هـ / ١٦٠٣ م)[١٦]. ولم يؤثر خلاف الشريف إدريس بن حسن[١٧]. مع أخيه الشريف فهيد[١٨]؛ على أحوال مكة المشرفة، إذ انسحب الأخير بهدوء وبدون إحداث ضرر بالعامة[١٩]. كما لم ينتج أثر عن تعدي وتطاول أحمد بن يونس وزير الشريف إدريس بن حسن على سكان مكة المشرفة لسوء

---

(١٣) الطبري: **إتحاف فضلاء الزمن**، ٢ / ١٨.

(١٤) عبد الرحمن بن عتيق وزير الشريف حسن، تولى الوزارة عام ( ١٠٠٣ هـ / ١٥٩٤ م ). وبقى في منصبه سبع سنوات سام فيها الناس الظلم والعسف؛ سجنه الشريف أبو طالب بعد توليه إمارة مكة المشرفة مباشرةً، فقتل نفسه في السجن عام ( ١٠١٠ هـ / ١٦٠١ م ). المصدر السايق والجزء، ص ٢٢ – ٢٣.

(١٥) المصدر السابق والجزء بصفحتيه.

(١٦) المحبي: **خلاصة الأثر**، ١ / ١٣٢ – ١٣٥.

(١٧) الشريف إدريس بن حسن بن أبي نمي تولى إمارة مكة المشرفة بالإجماع ومشاركاً لأخيه فهيد وابن أخيه محسن بن حسين بقرار سلطاني، ولكنه خلع أخاه فهيد عام ( ١٠١٩ هـ / ١٦١٠ م ). وبقى شريكاً لمحسن، ولكن توفى إدريس في نفس العام؛ عُرف عنه سخائه. الجارشلي: **أمراء مكة المكرمة**، ص ١٠٨.

(١٨) الشريف فهيد بن حسن كان شريكاً لأخيه في إمارة مكة المشرفة، ولكن بسبب شغب أتباعه وتجاوزاتهم فخلع منها بسبب ذلك؛ فذهب إلى أسطنبول حيث توفى هناك عام ( ١٠٢٠ هـ / ١٦١١ م ). المصدر السابق، ص ١٠٩.

(١٩) الطبري:**إتحاف فضلاء الزمن**، ٢ / ٢٨.

سيرته ؛ إذ سرعان ما قبض عليه الشريف وقتله[٢٠]. ومضت السنون بعدها هادئة، حتى أُثنى على الشريف إدريس بن حسن بحسن السيرة. ويبدو أن مبدأ المشاركة في الحكم كان أحد أسباب عدم استقرار الحكم للشريف المتولي، ففي عام (١٠٣٤ هـ / ١٦٢٤ م) اختلف الشريف إدريس بن حسن مع شريكه في الحكم الشريف محسن بن حسين[٢١]. وانتهى الأمر سريعاً بتنازل الشريف إدريس لابن أخيه الشريف محسن، الذي لم يهنأ بالإمرة طويلاً ؛ فقد ناصبه العداء الوزير أحمد باشا متولي اليمن، فأعلن خلع الشريف محسن وتولية الشريف أحمد بن عبد المطلب[٢٢]مكانه، ثم لم يلبث الوزير أحمد باشا أن توفى ؛ ولكن واجهت الشريف محسن مشكلة أُخرى وهي : نهب بعض الأتراك في جدة لغنم ترعى، فاشتبك معهم وهزمهم ؛ فانتهز الشريف أحمد بن عبد المطلب الفرصة واقترب من مكة المشرفة مع أتباعه، وتصدى لهم الشريف محسن

(٢٠) المحبي: **خلاصة الأثر**، ١ / ٣٧١ – ٣٧٢.

(٢١) الشريف محسن بن حسين بن حسن بن أبي نمي عُرف بالنجابة والشجاعة، شارك عمه أبو طالب ثم عمه إدريس في إمارة مكة المشرفة؛ إلى أن خلع الأخير نفسه من الإمارة، فأنفرد بها عام ( ١٠٣٤ هـ / ١٦٢٤ م ) وفي عهده دانت له بجيلة، وخرج عليه بعض الأشراف، وأستطاع هزيمتهم، إلا أن الشريف أحمد بن عبد المطلب أخذ الحكم منه بالقوة، فرحل الشريف محسن إلى اليمن حيث توفى هناك عام ( ١٠٣٨ هـ / ١٦٢٨ م ) وكانت مدة إمارته ثلاث سنين وثمانية أشهر ونصف. المحبي: **خلاصة الأثر**، ٣ / ٣٠٩ – ٣١١؛ عبد الغني: **تاريخ أمراء مكة المكرمة**، ص ٧١٧ – ٧١٩.

(٢٢) الشريف احمد بن عبد المطلب بن حسن بن أبي نمي، تولى أمر مكة المشرفة بعد خروج الشريف محسن منها؛ وأساء السيرة في أهلها وعلمائها، فقتل الشيخ عبد الرحمن المرشدي. وقتل الشريف أحمد بن عبد المطلب على يد قانصوه باشا العائد من اليمن عام ( ١٠٣٩ هـ / ١٦٢٩ م ) ومدة ولايته سنة وأربع أشهر وثمانية عشر يوماً. جارشلي: **أمراء مكة المكرمة**، ص ١١٠ – ١١١؛ عبد الغني: **تاريخ أمراء مكة المكرمة**، ص ٧٢٠ – ٧٢٣.

خارجها، ولكنه أحس أن الأمور لا تسير في صالحه، فترك مكة المشرفة واتجه إلى اليمن حيث توفى هناك[٢٣].

ولما تولى إمرة مكة المشرفة الشريف أحمد بن عبد المطلب، كانت فترة ولايته وخيمة على أهل مكة المشرفة، فقد تجاوز أتباعه الحد في مصادرة التجار والأغنياء؛ حتى فر العديد منهم إلى خارجها بغية السلامة؛ كما نكل بالعلماء وقتل الشيخ عبد الرحمن المرشدي[٢٤] الذي كان من مؤيدي الشريف محسن بن حسين. ولشدة بطشه وعسفه لم تطل أيامه، إذ قتل على يد الأمير قانصوه والي اليمن عام (١٠٣٩ هـ / ١٦٢٩ م)[٢٥].

وحكم بعده الشريف مسعود بن إدريس؛ ورأت مكة المشرفة وأهلها في أيامه خيراً لحسن تدبيره وشجاعته ورعايته لأهل العلم والعلماء؛ ولم تطل فترة ولايته، فتوفى عام (١٠٤٠ هـ / ١٦٣٠ م) ومدة ولايته سنة وثلاثة أشهر[٢٦]. واتفق الرأي بالإجماع على تنصيب الشريف عبد الله بن الحسن بن أبي نمي[٢٧] شريفاً على مكة

---

(٢٣) المحبي: **خلاصة الأثر**، ٣ / ٣٠٩ – ٣١١؛ عبد الغني: **تاريخ أمراء مكة المكرمة**، ص ٧١٧ – ٧١٩.

(٢٤) عبد الرحمن بن عيسى بن مرشد، ابو الوجاه العمري المعروف بالمرشدي الحنفي مفتي الحرم المكي وعالم الحجاز؛ نشأ بمكة المشرفة، حفظ القرآن الكريم، أم بالحرم المكي الشريف، تتلمذ على يده العديد من علماء وقته، درس في المدرسة السليمانية، وصف " ببحر العلم الذي لا يدرك ساحله ". قتله الشريف أحمد بن عبد المطلب عام ( ١٠٣٧ هـ / ١٦٢٧ م ) ونهبت داره وكتبه.المحبي: **خلاصة الأثر**، ٢ / ٣٦٩ – ٣٧٦.

(٢٥) الطبري:**إتحاف فضلاء الزمن**، ٢ / ٤٠ – ٤٣.

(٢٦) جارشلي: **أمراء مكة المكرمة**، ص ١١١.

(٢٧) الشريف عبد الله بن الحسن بن أبي نمي، كان سيداً جليلاً صالحاً، وهو جد الأشراف العبادلة، تولى إمارة مكة المشرفة عام ( ١٠٤٠ هـ / ١٦٣٠ م ) خلع نفسه بداية السنة التالية، وتوفى في نفس العام. الجارشلي: **أمراء مكة المكرمة**، ص ١١١؛ عبد الغني: **تاريخ أمراء مكة المكرمة**، ص ٧٢٤.

المشرفة، فتولاها مجبراً حقناً للدماء، وبعد (تسعة) أشهر خلع نفسه وعين ابنه الشريف محمد[٢٨] وأشرك معه الشريف زيد بن محسن بن الحسين، وكانت الفترة القصيرة التي حكم فيها الشريف عبد الله بن الحسن بلسماً داوى جراح مكة المشرفة الأمنية[٢٩].

واجه الشريفان محمد بن عبد الله والشريف زيد بن محسن في بداية حكمهما فتنة من خارج مكة المشرفة عصفت بهما؛ فكان من أمرها أن حاكم اليمن قانصوه طرد بعض العساكر منها، فدخلوا القنفذة، وأرسلوا للشريف محمد بن عبد الله طلباً بالسماح لهم بدخول مكة المشرفة بضعة أيام، يتجهون بعدها إلى مصر، فرفض طلبهم خوفاً من تعرض سكانها للأذى؛ فما كان من العساكر إلا دخولها عنوة بعد أن اشتبكوا مع قوات الشريف محمد بن عبد الله، الذي قُتِل في هذا الاشتباك، وانسحب الشريف زيد بن محسن إلى مر الظهران؛ فدخلت العساكر مكة المشرفة وأعلنوا تعيين الشريف نامي بن عبد المطلب[٣٠]أميراً عليها؛ وأشركوا معه الشريف عبد العزيز بن

---

(٢٨) الشريف محمد بن عبد الله بن الحسن، تولى إمرة مكة المشرفة عام ( ١٠٤١ هـ / ١٦٣١ م ) وأشرك معه زيد بن محسن بن الحسين، وفي عهدهما حدثت وقعة الجلالية، فقد كافح في منع الأتراك المنسحبين من اليمن من دخول مكة المشرفة؛ فقتل أثناء منعهم. الطبري: **إتحاف فضلاء الزمن**، ٢ / ٦١ – ٦٢؛ جارشلي: **أمراء مكة المكرمة**، ص ١١٢ – ١١٣؛ عبد الغني: **تاريخ أمراء مكة المكرمة**، ص ٧٢٥ – ٧٢٦.

(٢٩) عبد الغني: **تاريخ أمراء مكة المكرمة**، ص ٧٢٤.

(٣٠) الشريف نامي بن عبد المطلب بن الحسن بن ابي نمي، ولاه إمرة مكة المشرفة الجنود المطرودون من اليمن، بدون مرسوم، وبعدها أرسلوا لأمير جدة طالبين تسليمها لهم فأبى فحاصروه يومان؛ دخلوها بعدها، ونهبوا وقتلوا أميرها؛ وكانت مدة ولايته التي أستمرت مائة وواحد يوماً، وقد كانت هذه المدة وبالاً على اهل مكة المشرفة إلى أن جاءت القوات المصرية ومعهم الشريف زيد بن محسن فطاردوهم وأستطاعوا القبض على الشريف نامي وحكم عليه بالإعدام فشنق عام ( ١٠٤١ هـ / ١٦٣١ م ). المرجع السابق، ص ٧٣٣.

إدريس[٣١] بدون مرسومٍ لهما. وقد عانت مكة المشرفة من طغيان الشريف نامي ومصادرة أهلها ؛ ولم يكتف بذلك، بل أرسل لأمير جدة طالباً منه تسليمها، فرفض وقتل رسله، فهجموا على جدة وحاصروها يومين تمكنوا بعدها من دخولها ونهبها وقتل أميرها، ثم عادوا إلى مكة المشرفة التي عانت تلك الأيام من فسادهم وعبثهم. وفي موسم تلك السنة حضرت قواتٌ من مصر مع خلعةٍ للشريف زيد بن محسن فلبسها بالمدينة النبوية حيث كان ينتظرهم هناك، وسار بهم نحو مكة المشرفة فخرج منها المفسدون متوجهين جهة المشرق خوفاً من القوات القادمة ؛ وحج بالناس الشريف زيد بن محسن في ذلك الموسم في غاية الأمن. ثم طاردت القوات المصرية الخارجين واستطاعوا القبض على الشريفين نامي بن عبد المطلب وعبد العزيز بن إدريس، وقتلا بناءً على فتوى العلماء. وابتداءً من عام (١٠٤١ هـ / ١٦٣٢ م) هنأت مكة المشرفة وأهلها بتولي الشريف زيد بن محسن، فقد كان شفوقاً رفيقاً عادلاً، أزال الكثير من المنكرات، ودعم ما يوافق الكتاب و السنة، وأمنت في عهده المدن والبوادي، وكانت له عناية خاصة بعمل المبرات والعمائر التي تخدم أهل مكة المشرفة ومنها: بناء سبيل ماء وحنفية. وبالعموم فأيامه شملها الرخاء، وكل من ناصبه العداء باء بالخسران، وتوفى عام (١٠٧٧ هـ / ١٦٦٦ م) بعد أن حكم (٣٥) سنة وشهراً وأياماً[٣٢].

(٣١) الشريف عبد العزيز بن إدريس بن حسن بن أبي نمي، تولى إمرة مكة المشرفة مشاركاً للشريف نامي بن عبد المطلب من قبل العساكر التركية المطرودةٍ من اليمن فأساؤا السيرة فيها وأستباحوا الحرمات، وقبض عليه مع الشريف نامي بن عبد المطلب وقتلا عام ( ١٠٤١ هـ / ١٦٣١ م ). المرجع السابق، ص ٧٣٢.

(٣٢) المحبي: **خلاصة الأثر**، ٢ / ١٧٦ – ١٨٦؛ عبد الغني: **تاريخ أمراء مكة المشرفة**، ص ٧٢٧ – ٧٣١.

عُيَن الشريف سعد بن زيد[٣٣] أميراً على مكة المشرفة خلفاً لوالده، فلم يقبل الشريف حمود بن عبد الله[٣٤] بذلك، ورأى أنه أحق بالأمر، وانتهى الأمر بالصلح بينهما بعد أن استعدّ كلٌ منهما بما لديه من قوات، وتحصنوا في البيوت والمنائر؛ ولكن ورد مرسومٌ سلطاني بتعيين الشريف سعد بن زيد، وبالرغم من قبول الشريف حمود ظاهرياً نجده يخرج إلى مر الظهران ويقوم بأفعالٍ استفزازية لكي يخرج في إثره الشريف سعد من مكة المشرفة. وكان من الأعمال التي فعلها؛ استيلاؤه على فرس للشريف سعد، ومهاجمة قافلة للتجار في طريق جدة، ولما لم ينل ما أمله عمد إلى الشكوى لأمير الحج المصري بتقصير الشريف سعد في التزاماته، وحاول أمير الحج الصلح بينهما ولكن بعد عودة الحجاج اتفق رأي الشريف حمود مع من معه من الأشراف على الذهاب إلى مصر لرفع الأمر من هناك للسلطان، فذهب وفدٌ منهم إلى مصر، فأكرموا، وأرسل والي مصر من يتقصى الأمر ويصلح بين الأشراف، ولكن تأخر الموفد المصري الذي إشاعة مقتله هناك أزم الأمر، فأعد والي مصر قوات قوامها خمسمائة جندي، كمن لهم الشريف حمود وهزمهم، واستولى على ما كان معهم، وعندما علم الشريف سعد بما حدث سيَر جنداً من قبله إلى ينبع لحفظها؛ وتلا ذلك

(٣٣) الشريف سعد بن زيد بن محسن بن الحسين أمير مكة المشرفة، أشرك معه أخاه أحمد، تولى الإمارة أربع مرات، وحصلت له منغصات أثناء ولايته الأولى، ومدتها ست سنوات إلا أحد عشر يوماً توفى عام ( ١١١٦ هـ / ١٧٠٤م ). عبد الغني: **تاريخ أمراء مكة المكرمة،ص** ٧٣٨ – ٧٤٥.

(٣٤) الشريف حمود بن عبد الله بن الحسن بن أبي نمي، نازع الشريف سعد بن زيد في إمرة مكة المشرفةوجمع أتباعه وتحصنوا في البيوت، وتم الإتفاق على إعطائه مبلغ معلوم. عبد الغني: **تاريخ أمراء مكة المكرمة،** ص ٧٣٦ – ٧٣٧.

إرسال قوات من مصر لتأديب الشريف حمود على ما قام به، وخرج معهم الشريف سعد ولكنهم لم يستطيعوا القبض على المعتدين[٣٥].

ولم تكن هذه هي المشكلة الوحيدة التي واجهها الشريف سعد، فقد اعتدى ثلاثة من البادية على حسن باشا والي جدة عند جمرة العقبة في موسم عام (١٠٨١ هـ / ١٦٧٠ م) إذ أطلقوا عليه ثلاث رصاصات سقط على إثرها أرضاً؛ فحمله حراسه إلى مكة المشرفة، وصدرت منهم أفعال هوجاء إذ أخذوا يقتلون كل من صادفهم إلى أن دخلوا به مكة المشرفة، ثم تحصنوا في محل نزول الوالي، ولم يكتفوا بذلك، بل أطلقوا الرصاص على منزل الشريف سعد، وانتهكوا بذلك حرمة الحرم الشريف، ولما علم الشريف سعد أسرع بالنزول إلى مكة المشرفة لتدارك الأمر، وعمل على تحصين موقعه أيضاً. أما الحجاج فقد انتابهم الاضطراب والخوف الشديد على أرواحهم وأموالهم؛ ولتهدئة الأمر أعلن الشريف سعد أن ما حدث لم يكن له به علم، وسعى الأمراء في الصلح بينهما، وأضمر الوالي شراً للرد على ما حدث له، لذا منع عن الشريف سعد استحقاقاته من واردات ميناء جدة؛ فما كان من الشريف سعد إلا أن أقسم إن لم يدفعها فسوف يقتله مع أتباعه؛ وتم الاتفاق بينهما على أن يأخذ الشريف سعد ثلثيها ويتنازل عن الثلث الباقي، الأمر الذي زاد من حقد الباشا حسن على الشريف سعد، وانتظر إلى أن وصل إلى المدينة النبوية فبادر باستدعاء الشريف أحمد الحارث[٣٦]، ونصبه أميراً على مكة المشرفة ولم ينتهِ الأمر إلا بعزل حسن باشا[٣٧].

---

(٣٥) الطبري: **إتحاف فضلاء الزمن**، ٢ / ٨٧ – ٩٢.

(٣٦) الشريف أحمد بن محمد الحارث بن الحسين بن أبي نمي، عرف عنه رجاحة عقله وذكائه، فقد كان مرجع الأشراف في جميع أمورهم، وقد أرغمه حسن باشا والي جدة على توليته إمرة مكة المشرفة نكاية في الشريف سعد بن زيد ولكن الأمر لم يتم له، وتوفي عام ( ١٠٨٥ هـ / ١٦٧٤ م ). المحبي: **خلاصة الأثر**، ١ / ٣٤٨ – ٣٤٩.

(٣٧) الطبري: **إتحاف فضلاء الزمن**، ٢ / ٩٦ – ١٠٠.

ويبدو أنه صدر من الشريف سعد ظلم لأهل المدينة النبوية، فرفعوا أمرهم للسلطان العثماني الذي أصدر مرسوماً بعزله وتعيين أخيه الشريف أحمد بدلاً عنه، وأعيد مرة أخرى لإمارة مكة المشرفة عام (١١٠٣ هـ / ١٦٩١ م) وتعيين ابنه سعيد نائباً عنه. ولكن يبدو أن الكدر عاد مرة أخرى بينه وبين الدولة العثمانية بسبب خلافه مع محمد باشا جدة، فلما كان موسم عام (١١٠٥ هـ / ١٦٩٣ م) عزل عن الإمارة؛ وفي عام (١١٠٦ هـ / ١٦٩٤ م) أعيد مرة أخرى بعد اعتذاره للدولة العثمانية. وفي عام (١١١٢ هـ / ١٧٠٠ م) ثار عليه الأشراف لعدم حصولهم على نصيبهم مما وعدهم به، فرأى الشريف سعد أن يكتب للدولة العثمانية لتولي ابنه الشريف سعيد بدلاً منه في سنة (١١١٣ هـ / ١٧٠١ م)[٣٨].

ثم جاءت ولاية الشريف أحمد بن زيد الذي كان شريكاً لأخيه الشريف سعد بن زيد وقد ذهب إلى إسطنبول بعدما عزل عن إمارة مكة المشرفة بعد عزل أخيه وأقام بها إلى عام (١٠٩٥ هـ م ١٦٨٣ م) حيث عينه السلطان بنفسه أميراً على مكة المشرفة. وكانت فترة إمارته خيراً على مكة المشرفة إلا أنها لم تستمر طويلاً إذ توفى عام (١٠٩٩هـ/١٦٨٧م)[٣٩].

ومن الاستعراض السابق نجد أن أسباب عدم الاستقرار في مكة المشرفة تعود إلى:

- مشاحنات شخصية بين شريف مكة المشرفة وباشا جدة.
- تصارع الأشراف على الإمارة وتحزب بعضهم ضد بعض.
- سوء تصرف شريف مكة المشرفة في تسيير الأمور سواء داخلها أو خارجها، واستقطاب القبائل حوله.
- اعتماد قوة الحشد لمواجهة الخصوم.

---

(٣٨) عبد الغني: تاريخ امراء مكة المكرمة، ص ٧٣٨ – ٧٤٥.

(٣٩) المرجع السابق، ص ٧٤٦ – ٧٤٧.

• وجود بعض الوزراء غير الأكفاء وما يصدر منهم من ظلم للناس.

**ب) الأحوال الاجتماعية**

إن النسيج الاجتماعي في مكة المشرفة متنوع، وفي الوقت نفسه متجانس، فقد عاش الجميع بسلام واحترام متبادل، ومما وجد من هذا النسيج:

أولاً: الأشراف: حكام الحجاز عامةً ومكة المشرفة خاصةً، وهم من ذرية الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، والملقبون ببني قتادة(٤٠).

ثانياً: العلماء: يلون الأشراف مباشرةً في التقدير والاحترام، ولهم الكلمة المسموعة عند وجود أية مخالفة تصدر من الباشوات؛ مثلما حدث عندما نصب حيدر باشا دكة بالمسجد الحرام وصلى فوقها، فأنكر عليه العلامة الملا محمد فروخ(٤١)؛ فاضطر إلى الإذعان وأزال الدكة(٤٢).

---

(٤٠) **القلقشندي**، أحمد بن علي ( ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م ): **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، شرح وتعليق ومقابلة نصوص نبيل خالد الخطيب، دار الفكر، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م. د. ت. ٤ / ٢٧٢، ٢٧٥، ٢٧٧؛ **العياشي**، عبد الله بن محمد ( ت ١٠٩٠ هـ / ١٦٧٩ م ): **الرحلة العياشية للبقاع الحجازية المسمى ماء الموائد**، تحقيق وتخريج وتعليق الشيخ أحمد فريد المزيدي، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠١١ م. ١ / ٢٤٨؛ جارشلي: **أمراء مكة المكرمة**، ص ١٣ ص ٢٩، ٩٩.

(٤١) الشيخ محمد المكي بن الملا فروخ بن عبد المحسن بن عبد الخالق المورويّ نسبة إلى موره بلدة في الروم فقيه، ولد بمكة المشرفة عام ( ٩٩٦ هـ / ١٥٨٧ م ) حفظ القرآن الكريم صغيراً، أخذ على علماء مكة المشرفة والقادمين عليها الحديث والفقه، كتب فتوى هو ابن عشرين عاماً، ألف رسائل عديدة في الفقه، جمع له العديد من المناصب منها الخطابة والإمامة بالمقام الحنفي بالمسجد الحرام وإماماً بالمشاعر المقدسة، وإمامة مسجد نمرة؛ درس في مدرسة السلطان أحمد خلف المقام ومدرسة محمد باشا والمرادي، توفى عام (١٠٦١ هـ / ١٦٥٠ م ). **العجيمي**: محمد حسن ( ت ١١١٣ هـ / ١٧٠١ م ) **مخطوط خبايا الزوايا**، مصور بمكتبة الحرم المكي الشريف رقم ( ١١٣٦ ) تراجم، نسخ عبد الستار الدهلوي، تاريخ النسخ ١١ / ٥ / ١٣٢١ هـ. عدد الأوراق ٢٢٥. مقاس ٥، ٢٥ / ١٩، تاريخ التصوير ٢٠ / ٨ / ١٤٠٣ هـ. تصوير عبد المنعم دوش. ص ٣٦٣

(٤٢) العصامي: **سمط النجوم**، ٤ / ٤٠٢ – ٤٠٣.

ثالثاً: القرشيون: وهم قلة، فالأكثرية تفرقوا في الوديان حول مكة المشرفة[٤٣].

رابعاً: المماليك الترك: تكاثرت هذه الطبقة منذ العصر المملوكي، فمع ازدياد عددهم ارتفعت مكانتهم الاجتماعية لأنهم يمثلون السلطة الحاكمة بمصر؛ وقد أطلق عليهم أهل مكة المشرفة مسمى الترك نسبة للجنس الذي ينتسبون إليه[٤٤]. وقد عمل بعضهم بالتجارة[٤٥] والتحق قسمٌ منهم إلى قوات شريف مكة المشرفة[٤٦]. أما البقية فقد عانى أهل مكة المشرفة من عدم انضباطهم واعتداءاتهم[٤٧]. فقد كانوا أحد أهم أسباب الاضطراب في تلك الفترة؛ مع أن الأصل في وجودهم حفظ الأمن بها. ولا يعني هذا أن المماليك كانوا كلهم من الجنس التركي، بل وجد الأوزبك، وكذلك التكرور الذين كانت تصدر عنهم الكثير من المفاسد[٤٨].

---

(٤٣) **باشا**، أيوب صبري: **مرآة جزيرة العرب**، ترجمة وتقديم وتعليق د / أحمد فؤاد متولي ود / الصفصافي أحمد مرسي، دار الرياض، ط ١، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م. ٢ / ٢٨٠ – ٢٨١.

(٤٤) **ابن فهد**، العز عبد العزيز بن النجم بن فهد المكي ( ت ٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م ): **بلوغ القِرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى**، تحقيق ودراسة صلاح الدين بن خليل إبراهيم وعبد الرحمن حسين أبو الخيور وعليان بن عبد العالي المحلبدي، القاهرة، دار القاهرة، ط١، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٥ م. ٣ / ١٤٢٩، ١٤٣٣، ١٧٧٤؛ الطبري: **إتحاف فضلاء الزمن**، ٢ / ١١٨.

(٤٥) العز ابن فهد:**بلوغ القِرى**، ٣ / ١٥٢٦.

(٤٦) المصدر السابق والجزء، ص ١٧٢٠.

(٤٧) المصدر السابق والجزء، ص ١٧٨٤، ١٤٦٢، ١٤٦٦.

(٤٨) العصامي: **سمط النجوم**، ٤ / ٥٠٩، ٥٢٤، ٥٦٦.

خامساً: العبيد والجواري: هم من أجناس شتى، من الحبشة والنوبة وغيرها، وكان الغرض من وجودهم الخدمة في المنازل أو العمل في مهنٍ محددةٍ[٤٩]. ولما كثر عددهم كثر ضررهم واعتداؤهم على الناس بالسلاح كما حدث عام (١٠٩٥ هـ / ١٦٨٣ م)[٥٠].

سادساً: المجاورون: كونت الوفود المقيمة بمكة المشرفة طبقة اجتماعية أطلق عليها مسمى " المجاورون "؛ فهؤلاء قدموا إليها من جميع أقطار الأرض لذا تعددت جنسياتهم، فكان منهم العلماء وطلبة العلم والزهاد والتجار وأصحاب المهن؛ ولا شك أن هذا الخليط أسهم بإيجابية في المجتمع المكي، ولكن وُجد قسمٌ من المجاورين فقراء معدمون، ومنقطعون لا عمل لهم يتكسبون منه، فهؤلاء كانوا عالةً وعبئاً على المجتمع المكي، وهم الذين تصلهم الإعانات السنوية من سلاطين المسلمين وأثريائه

(٤٩) العز ابن فهد: **بلوغ القِرى**، ٣ / ١٧٨١، ١٤٦٧، ١٦١٥، ١٦٢١؛ **جار الله بن فهد**، جار الله ابن فهد ابن العز ابن فهد ( ت ٩٥٤ هـ / ١٥٤٧ م ): **كتاب نيل المنى بذيل بلوغ القِرى لتكملة إتحاف الورى ( تاريخ مكة المكرمة من سنة ٩٢٢ هـ إلى ٩٤٦ هـ )**، تحقيق د / محمد الحبيب الهيلة، مؤسسة الفرقان، ط ١، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م. ٢ / ٥٥٥؛ العصامي: **سمط النجوم**، ٤ / ٣٩٩، ٤٨٢؛ **جلبي**، أوليا ( ت ١٠٩٤ هـ / ١٦٨٢م ): **الرحلة الحجازية**، ترجمة د / الصفصافي أحمد مرسي، القاهرة، دار الأفاق العربية، د. ت. ص ٢٧٧؛ العياشي: **ماء الموائد**، ١ / ٣٦٢؛ الطبري: **إتحاف فضلاء الزمن**، ٢ / ٨٧؛ **بوركهارت**، جون لويس ( ت ١٢٣٣ هـ / ١٨١٧ م): **رحلات في شبه جزيرة العرب**، ترجمة د / عبد العزيز الهلابي وعبد الرحمن الشيخ، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م. ص ١١٤.

(٥٠) العصامي: **سمط النجوم**، ٤ / ٥٥٠؛ الطبري: **إتحاف فضلاء الزمن**، ٢ / ١٣٢.

الموجودين داخل مكة المشرفة وخارجها، بالإضافة إلى من وجد من فقراء الحرم، وقد امتهن بعضهم اللصوصية وكان منهم الترك والهنود(٥١).

سابعاً: أعراب البادية: دأب أعراب البادية على التردد على مكة المشرفة بأعداد كبيرة، فالرحالة العياشي عندما جاور مكة المشرفة عام (١٠٧٣ – ١٠٧٤ هـ /١٦٦٢ – ١٦٦٣ م) وصف أهلها بأنهم على " أعرابيتهم، غلبت عليهم البداوة، لكثرة مخالطتهم لأهل البادية، وسكناهم بها "(٥٢).

لقد نتج عن هذا التنوع البشري الذي قلَ نظيره في أية مدينة من مدن العالم انسجام تام، ونمط حياة اجتماعي فريد، بسبب تعدد الأجناس والثقافات، فكل من عاش منهم بها نقل ثقافته وعادات وتقاليد موطنه الأصلي، مما أدى إلى امتزاج ذلك النسيج من الأجناس بالمصاهرة والمعاشرة، فتعددت الألبسة والألسن، فقد قيل إن الشريف حسن بن أبي نمي كان يتكلم التركية والفارسية بالإضافة إلى العربية(٥٣). وقد مارس أهل مكة المشرفة العديد من العادات والتقاليد التي خصت بها، وقد أطنبت كتب الرحلات في وصفها، إذ منها اليومي والأسبوعي والشهري والسنوي(٥٤).

**ج) الأحوال الاقتصادية**

إن الاقتصاد عصب الحياة لأية منطقة أو دولة في العالم، ولم تشذَ مكة المشرفة عن هذه القاعدة. ففي خلال القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي تقاذفتها عدة تقلبات اقتصادية تراوحت بين الرخاء والشدة، ولكن يمكننا – بناءً على

(٥١) جار الله ابن فهد: **كتاب نيل المنى**، ٢ / ٥٥٤؛ العصامي: **سمط النجوم**، ٤ / ٣٥٩، ٣٩٤، ٣٦٤، ٤٩٨، ٥٠٢، ٤٠١؛ الطبري: **إتحاف فضلاء الزمن**، ٢ / ٦٩، ١٣٢.

(٥٢) العياشي: **ماء الموائد**، ١ / ٣٦٣.

(٥٣) العصامي: **سمط النجوم**، ٤ / ٣٧١.

(٥٤) انظر على سبيل المثال العياشي: **ماء الموائد**؛ جلبي: **الرحلة الحجازية**.

ما تصفحناه في بعض الكتب - الحكم على أن الرخاء كان أكثر فترات هذا القرن بينما الأزمات الاقتصادية لم تتعد سنوات قليلة متقطعة فمن ذلك حدوث غلاء شديد استمر ثلاثة أشهر عام (١٠٠٧ هـ / ١٥٩٨ م) اضطر فيه الفقراء إلى طبخ دم الشاة مع الماء وأكله[٥٥].وحدثت أزمة اقتصادية استمرت عاماً فبدأت عام (١٠٣٧ – ١٠٣٨ هـ / ١٦٢٧ – ١٦٢٨ م) نتج عنها غلاء سعر الدخن. وبين الطبري أن غالب سنوات الغلاء إنما تركزت في الحبوب[٥٦]عام (١٠٣٩ هـ / ١٦٢٩ م) من جراء فتنة الجلالية[٥٧].

وفي عام (١٠٤٢ هـ / ١٦٣٢ م) حدث غلاء بمكة المشرفة انعدمت فيه الحبوب إلا من الدخن ؛ لذا سمى ذلك العام عام " دخنه "[٥٨]. ولم تكد تتعافى من أزمة الغلاء هذه حتى لحقتها أزمة أخرى عام (١٠٤٥ هـ / ١٦٣٥ م) رافقها نفوق الكثير من الخيل ؛ حتى لم يتبقَّ إلا فرس وحيد يركبه الشريف[٥٩]. وأعقب ذلك سنوات من الرخاء إلى عام (١٠٧٠ هـ / ١٦٥٩ م) وفيها كان غلاء شديد بسبب الجراد الذي أفنى المحاصيل[٦٠]. وحتى يُخفف عن الناس نودي بترك التسعيرة[٦١]. وتسبب الحجاج في غلاء شديد بعد أن أحضروا معهم نقوداً مزيفة عام (١٠٧٨ هـ / ١٦٦٧ م)[٦٢]. وكان مما يضاف إلى أعباء أمراء مكة المشرفة ورود سكان نواحي الحجاز إذا أصابهم جدبٌ أو

(٥٥) الطبري: **الأرج المسكي**، ص ١٠٤.

(٥٦) المصدر السابق، ص ١٠٥.

(٥٧) المصدر السابق، ص ١٣١ –١٣٢.

(٥٨) الطبري:**إتحاف فضلاء الزمن**، ٢ / ٥٠.

(٥٩) المصدر السابق والجزء، ص ٦٨.

(٦٠) العصامي: **سمط النجوم**، ٤ / ٤٧٠.

(٦١) الطبري:**إتحاف فضلاء الزمن**، ٢ / ٨١.

(٦٢) المصدر السابق والجزء، ص ٩٣.

قحطٌ فيشتد الحال بهم وبالتالي بأهل مكة المشرفة ؛ لقلة ما يوجد بها للوفاء باحتياج القادمين عليها وأهلها[٦٣].

ومما يدل على استقرار الاقتصاد بمكة المشرفة خلال القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي ؛ اعتناء القائمين على أمرها وعلى رأسهم الدولة العثمانية، التي أقامت العديد من المنشآت المعمارية التي تخدم أهلها والوافدين عليها، أو ترميم ما تهدم من المباني وهو ما يدل في الوقت نفسه على الاستقرار الاقتصادي وتشغيل الأهالي مما يعود عليهم بمردود اقتصادي جيد حينها. فمن ذلك ترميم المقامات الأربع بالمسجد الحرام عام (١٠١٦ هـ / ١٦٠٧ م)[٦٤]، كما تم ترميم الكعبة المشرفة وتذهيب المنبر، بالإضافة إلى ترميم مواضع عدة بالمسجد الحرام عام (١٠٢٠هـ/١٦١١م) عقب سيل دخله[٦٥]. وتم في عام (١٠٢٥هـ/١٦١٦م) وضع شباك نحاس على فوهة بئر زمزم خشية سقوط الناس داخله[٦٦]. وفي حدود عام (١٠٣٠هـ/١٦٢٠م) ظهرت عين ماءٍ بالمعابدة فأصلحها القائد ريحان بن سالم وزير مكة المشرفة وحاكمها، وكان ماؤها يغلب عليه الملوحة، وقيل إنها ألحقت بعد ذلك بعين عرفة وحنين[٦٧]. وفي عام (١٠٣٩هـ/١٦٢٩م) بمجرد أن وصل إلى علم السلطان العثماني تدهور مبنى الكعبة المشرفة بادر إلى تعميرها وإعادة بنائها، وتعمير ما وهى من المسجد الحرام، بالإضافة إلى تعمير الدور المأثورة التي أصبحت مساجد تلقى فيها دروس العلم[٦٨].

---

(٦٣) العصامي: **سمط النجوم**، ٤ / ٤٩٨.

(٦٤) الطبري:**إتحاف فضلاء الزمن**،٢ / ٢٧.

(٦٥) المصدر السابق والجزء، ٢٩.

(٦٦) المصدر السابق والجزء، ٣٠.

(٦٧) المصدر السابق، ص ٨٥.

(٦٨) المصدر السابق والجزء، ص ٤٦ – ٥٧، ١٥.

وعُمر سقف الكعبة المشرفة وفرش سطحها بالرخام، وجدد بابها عام (١٠٤٥ هـ / ١٦٣٥ م)، كما فرش المسجد الحرام بالحصى وأصلحت مماشيه مستخدمين النورة، وتبع ذلك ترميم المقامات الأربع[٦٩]. وأنشأت مستولدة الشريف إدريس بن حسن رباطاً في آخر سوق الصغير[٧٠]. وبنى السلطان مراد مدرسة بجوار عقد المسعى، وأنشأ سبيلاً على باب الصفا[٧١]. وفي عهد الشريف زيد بن محسن عام (١٠٤٦ هـ / ١٦٣٦ م) قام قاضي مكة المشرفة محمد أفندي بإجراء الماء في كثير من سبل الماء بمعاونة الشريف زيد[٧٢]، الذي أنشأ هو الآخر سبيلاً وحنفية للتيسير على سكان مكة المشرفة. وفي عام (١٠٦٣ هـ / ١٦٥٢ م) أُعيد بناء قبة الفراشين بعد هدمها. وعندما هطلت أمطار غزيرة عام (١٠٧٣ هـ / ١٦٦٢ م) احتاجت مكة المشرفة لعمارة شاملة فعُمرت المقامات الأربع، وطليت قباب المسجد الحرام بالنورة باطناً وظاهراً، وغيرت خشبة في سقف الكعبة المشرفة، كما رممت المباني بالمشاعر المقدسة في عرفات ومسجد إبراهيم وقبة جبل الرحمة، وكذلك مسجد المشعر الحرام بالمزدلفة، ومسجد الخيف بمنى، وحدود الحرم وأعلام الجمرات[٧٣].

وفي عام (١٠٧٩ هـ / ١٦٦٨ م) بنى الشيخ محمد بن سليمان[٧٤] بطلب من الشريف سعد بن زيد؛ مزولة "ساعة" في صحن المسجد الحرام لمعرفة ما بقى وما مضى من النهار، كما بادر الشيخ محمد بن سليمان في عام (١٠٨٧ هـ / ١٦٧٦ م)

---

(٦٩) المصدر السابق والجزء، ص ٦٧ – ٦٨.

(٧٠) الطبري: الأرج المسكي، ص ٧٧.

(٧١) المصدر السابق، ص ٨٠ – ٨١.

(٧٢) المصدر السابق، ص ٨٣، ٧٤.

(٧٣) الطبري: إتحاف فضلاء الزمن، ٢ / ٨٠، ٨٢ – ٨٣.

(٧٤) أنظر فيما بعد ترجمته ص

بتسوير مقابر المعلاه، ثم أُعيد تسوير المقبرة عام (١٠٩٨ هـ / ١٦٨٦ م) وقسمت قسمين جُعل على كل قسم سور وأبواب[٧٥].

ومما سبق نرى أن مكة المشرفة مرت بأوقات غلت فيها الأسعار لعدة أسباب مر ذكرها، ولكن نالها أيضاً رخاءٌ وتعمير واهتمام براحة سكانها، بل شمل الاهتمام المقابر أيضاً.

**هـ) الأحوال الدينية والثقافية**

لم يخل القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي من علماء أفذاذ ملؤوا مكة المشرفة علماً وأشاعوه بين القاصي والداني، وسطرت أسماؤهم وسيرهم في كتب التراجم، إذ ليس صحيحاً ما يقال أن هذا القرن قرن جهل وظلام، بل وجد فيها العلماء والأدباء والأطباء والمخترعون.

فمكة المشرفة كغيرها من بلاد الإسلام وجِد فيها العالم والجاهل والمثقف وغير المثقف، أخذ فيها العلماء حظهم من الاحترام والتقدير[٧٦]؛ وعُلم فيها الجاهل[٧٧]. فقد كان بها اعتناء كبير بتعليم الصغار في المسجد الحرام وخارجه[٧٨]؛ بالإضافة إلى حلقات العلم التي كانت تقام به والتي كانت محط أنظار القادمين إلى مكة المشرفة للانضمام إليها والنهل من معينها، والحرص على نيل الإجازات من علمائها والعلماء

---

(٧٥) العصامي: **سمط النجوم**، ٤ / ٩٤، ١١٥، ١٣٤.

(٧٦) العياشي: **ماء الموائد**، ٢ / ١٦٠.

(٧٧) المصدر السابق ١ / ٥١٠.

(٧٨) جلبي: **الرحلة الحجازية**، ص ٢٧٨؛ **العجيمي**، محمد حسن ( ت ١١١٣ هـ / ١٧٠١ م ): **خبايا الزوايا**، مخطوط مصور بمكتبة الحرم المكي الشريف، ( رقم الفيلم ١١٣٦، تراجم، نسخ عبد الستار الدهلوي، تاريخ النسخ ١١ / ٥ / ١٣٢١ هـ. عدد الأوراق ٢٢٥، مقاس ٥. ٢٥ / ١٩، تاريخ التصوير ٢٠ / ٨ / ١٤٠٣ هـ، تصوير عبد المنعم دوش ) ص ٢٨٦؛ أبو الخير: **المختصر من كتاب نشر النور**، ٥٣.

المجاورين بها، فالتدريس شمل أوقات اليوم ليلاً ونهاراً[٧٩]. ووجدت المكتبات العامة والخاصة وبداخل المسجد الحرام[٨٠]. وقد اعتنت الدولة العثمانية بترتيب المدرسين في الدور المأثورة التي تحولت إلى مساجد[٨١]. وأسهم المجاورون بدورهم في رواج الحركة العلمية والثقافية بإحضار الكتب معهم وأوقفوا بعضها أو كلها على طلبة العلم بالمسجد الحرام؛ إضافة إلى إسهام العلماء بشراء الكتب ونسخها[٨٢].

ومما ساعد أيضاً على متانة الأحوال الدينية بمكة المشرفة؛ تعدد المذاهب الإسلامية في سماحة وعدم تعصب؛ وأنشأت مدارس لتدريس فقهها. فقد أنشأ السلطان سليمان بن سليم العثماني أربع مدارس لتدريس المذاهب السنية الأربعة[٨٣]. ودأبت الدولة العثمانية على إرسال الإنعامات إلى علماء مكة المشرفة سواء منهم المتولي منصباً دينياً أو القائم على التدريس فقط؛ و ساعد هذا على تفرغهم لأداء رسالتهم العلمية؛ وكانت ترد من الأقطار الإسلامية أموال الصلات منها لهؤلاء

---

(٧٩) **القطبي**، عبد الكريم ( ت ١٠١٤ هـ / ١٦٠٥ م ): **إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام**، علق عليه أحمد محمد جمال وعبد العزيز الرفاعي وأشترك في التعليق على هذه الطبعة د / عبد الله الجبوري، الرياض، دار الرفاعي، ط ١، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م. ص ١٥٥؛ العجيمي: **خبايا الزوايا**، ص ١٥٠، ٢٧٥؛ أبو الخير: **كتاب نشر النور**، ص ٤٥، ٥٢ – ٥٣.

(٨٠) **الشلي**، محمد بن أبي بكر بن أحمد بن أبي بكر بن عبد الله ( ت ١٠٩٣ هـ / ١٦٨٢ م ): **كتاب عقود الجواهر في أخبار القرن الحادي عشر**، مخطوط بمكتبة عارف حكمت ( رقم ٤٥٣، عدد صفحات المخطوط ٣٤١ )، ص ٢٠٥؛ أبو الخير: **المختصر من كتاب نشر النور**، ص ٣، ٦٤، ٦٦.

(٨١) الطبري: **الأرج المسكي**، ص ٦٩.

(٨٢) العجيمي: **خبايا الزوايا**، ص ٢٥٧، ٢٩٣.

(٨٣) **النهروالي**: محمد بن أحمد بن محمد ( ٩٩٠ هـ / ١٥٨٢ م ): **كتاب الأعلام بأعلام بيت الله الحرام**، تحقيق د / علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط ١، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م. ص ٣٥٥؛ القطبي: **إعلام العلماء**، ص ١١٣.

العلماء تقديراً لهم[٨٤]. فنتج عن ذلك شيوع العلم والثقافة بمكة المشرفة. فقد عُرفت عائلات مكية توارثت العلم كابراً عن كابر أمثال أسرة الطبري، وبني ظهيرة، والنويري، والبصري، والزمزمي، والزرعةٍ، والمرشدي وغيرهم[٨٥].

## المبحث الثاني: بعض الرحالة العلماء المغاربة بمكة المشرفة

إن المتصفح لكتب التراجم يجد الكثير منهم[٨٦]؛ سواء المجاور مجاورة قصيرة أو الذي طالت مجاورته وعد من أهل مكة المشرفة، إلى أن وافاه أجله بها؛ فمن هؤلاء:

**١– أحمد بن محمد بن أحمد المقري (ت ١٠٤١ هـ / ١٦٣١ م):**

أحمد بن محمد بن أحمد بن يحي بن عبد الرحمن بن أبي العيش بن محمد، أبو العباس المقري التلمساني مولداً المالكي مذهباً، سكن فاس ثم القاهرة، وصف " بحافظ المغرب المسند "[٨٧]؛ أضفيت عليه العديد من الصفات منها: حافظ القرآن

---

(٨٤) المحبي: **خلاصة الأثر**، ٢ / ٣٤٧؛ **باشا**، إبراهيم رفعت ( ت ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٥ م ): **مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية، محلاه بمئات الصور الشمسية**، بيروت، دار المعرفة، د. ت، ٢ / ٣٠٩ – ٣٢١؛ **الدكالي**، محمد بن علي: **الإتحاف الوجيز " تاريخ العدوتين "**، تحقيق مصطفى بوشعرك، سلا – المغرب، منشورات الخزانة العلمية الصبحية، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م. الرباط، مطبعة المعارف الجديدة. ص ١١١.

(٨٥) أبو الخير: **المختصر من كتاب نشر النور**، ص ١٦، ٦٣، ٩٠.

(٨٦) **الكتاني**، عبد الحي بن عبد الكبير: **فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، إعتناء د / إحسان عباس، بيروت – لبنان، دار الغرب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م. ٢ / ١١٣٤. على سبيل المثال.

(٨٧) العصامي: **سمط النجوم**، ٤ / ٤٤١.

الكريم، والمتمكن في التفسير والحديث، حافظ البيان، المتمكن في علم الكلام، المعجز في الأدب؛ من عظماء الأمة[٨٨].

أخذ العلم عن كثير من المشائخ، منهم عمه الشيخ العالم أبو عثمان سعيد بن أحمد المقري مفتي تلمسان مدة ستين عاماً، الذي أخذ عليه كتب الحديث الستة، كما أخذ عن الشيخ أحمد بابا، والقصار وغيرهم كُثر، وأخذ عنه مالا يحصى من طلبة العلم شرقاً وغرباً. تولى الإفتاء زمن السلطان أحمد بن منصور، ولما اضطربت أحوال المغرب بعد وفاته رحل عام (١٠٢٧ هـ / ١٦١٧ م) للحج، وجاور سنين عديدة وتصدر لإقراء الحديث بالمسجد الحرام[٨٩].ثم تحول للسكن بمصر وتزوج بها؛ وتاقت نفسه إلى بيت المقدس عام (١٠٢٩ هـ / ١٦١٩ م)، شد رحاله بعدها إلى القاهرة، ومنها تكررت رحلاته إلى مكة المشرفة فدخلها عام (١٠٣٧ هـ / ١٦٢٧ م)، زار خلالها المدينة النبوية سبع مرات تصدر أثناءها لإملاء الحديث الشريف في المسجد النبوي، وعاد بعد ذلك إلى القاهرة عام (١٠٣٩ هـ / ١٦٢٩ م)؛ ومنها ذهب إلى بيت المقدس، وانتقل للسكن في دمشق؛ حيث ألقى دروسه التي كان يحرص على حضورها الجمع الغفير من طلبة العلم في كل مكان يقصده؛ إذ كانت له حظوة وإقبال لا نظير له من الناس[٩٠].

---

(٨٨) المحبي: **خلاصة الأثر**، ١ / ٣٠٢ – ٣٠٣؛ **القادري**، محمد بن الطيب ( ت ١١٨٧ هـ / ١٧٧٣ م ): **كتاب إلتقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر**، تحقيق هاشم العلوي القاسمي، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط١، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م. ص ٩٥.

(٨٩) الشلي: **كتاب عقد الجواهر**، ص ١٦٩، المحبي: **خلاصة الأثر**، ١ / ٣٠٣؛ **مخلوف**، محمد بن محمد ( ت ١٣٦٠ هـ / ١٩٤١ م ): **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، دار الفكر، د. ت، ص ٣٠٠.

(٩٠) المحبي: **خلاصة الأثر**، ١ / ٣٠٣ – ٣٠٥.

ترك العديد من المؤلفات منها: نفح الطيب في أخبار ابن الخطيب، فتح المتعال، إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة، أزهار الكمامة، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، وقطف المهتصر في أخبار المختصر، عُرف النشق في أخبار دمشق، الروض الآس العاطر الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام مراكش وفاس، الدر الثمين في أسماء الهادي الأمين، وحاشية شرح أم البراهين، كتاب البدأة والنشأة، وغير ذلك كثير. وافاه أجله بمصر عام (١٠٤١ هـ / ١٦٣١ م)[٩١].

**٢– خالد بن محمد بن محمد بن عبد الله الجعفري المغربي (ت ١٠٤٤هـ /١٦٣٤م):**

خالد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله المالكي الجعفري المغربي ثم المكي، قال عنه المحبي " صدر المدرسين في عصره بالمسجد الحرام، ناشر لواء سنة النبي عليه الصلاة والسلام، والمرجع في التمييز بين الحلال والحرام، والحاوي شرفي العلم والنسب ". ووصفه مخلوف " بصدر المحدثين ". بدأ بتلقي العلم على علماء أفاضل في المغرب ومصر؛ رحل بعدها إلى مكة المشرفة وجاور بها؛ متصدراً للإفتاء والتدريس؛ فاخذ عليه جمعٌ غفير من علماء مكة المشرفة، منهم: الإمام علي الطبري، والشيخ حنيف الدين المرشدي، والشيخ محمد مكي فروخ الحنفي وغيرهم كثير. وافاه أجله بمكة المشرفة[٩٢].

**٣– الشيخ محمد عاشور المغربي المالكي (ت بعد ١٠٧٠ هـ / ١٦٥٩ م):**

وصفه معاصره الشيخ العجيمي " بالعلامة سيبويه عصره "؛ لم يتحقق مولده فالعجيمي قال: " ولد ظناً قبل الألف " تلقى العلم الشيخ محمد على الكثير من علماء عصره؛ وعلى رأسهم الشيخ محمد التواتي؛ له العديد من المؤلفات، منها تعليقات

(٩١) المحبي: **خلاصة الأثر**، ١ / ٣٠٢ –٣٠٣، ٣١١؛ العصامي: **سمط النجوم**، ٤ / ٤٤١.

(٩٢) المحبي: **خلاصة الأثر**، ٢ / ١٢٩؛ مخلوف: **شجرة النور**، ص ٢٩١؛ مرداد: **المختصر من كتاب نشر النور**، ص ١٨٦ – ١٨٧.

على ألفية ابن مالك وتحريرات عليها، قيل: لو بيضت لكانت في مجلدات؛ عُرف عنه كُثرة مناظراته التي يخرج منها منتصراً، لسعة علمه وقوة حجته ومنطقه. قدم مكة المشرفة واجتمع بالعجيمي وحصل منه على إجازة.وافاه أجله بعد نزوله من الحج بأيام قلائل ودفن في مقبرة المعلاة بعد عام (١٠٧٠ هـ / ١٦٥٩ م)[٩٣]

**٤– إبراهيم بن محمد الأنسي السوسي المغربي (ت ١٠٨٠ هـ / ١٦٦٩ م):**

الشيخ إبراهيم بن محمد السوسي المالكي نعته العجيمي بقوله: " صاحبنا " دلالة على عمق الصلة بينهما، ووصفه " بشيخ الفنون الأدبية البارع، والآخذ من العلوم بفروعها وجذورها من العلوم العقلية والنقلية ". ولد بالغرب في حدود عام (١٠٣٠ هـ / ١٦٢٠ م). وتنقل بين مراكزها العلمية للأخذ على صفوة من بها من العلماء؛ فمن مشايخه: مفتي مراكش محمد بن سعيد، وسيدي محمد المرابط، وغيرهم كُثر، حتى قيل: إن مشايخه المسمين محمداً بلغ نحو السبعين؛ ولإكمال أخذه شد الرحال إلى المشرق، وأخذ على جملة من علماء مصر، ثم اتجه بعدها إلى مكة المشرفة، واستقر بها؛ فقد كان أديباً ناظماً شاعراً ناثراً[٩٤].

وصفه معاصره وصاحبه العجيمي بمواظبته على حضور دروس العلم بالمسجد الحرام، مع توزيع أوقاته بين العبادة والاطلاع على الكتب، وأثنى على حُسن خلقه ولطفه وطلاقة وجهه؛ قال عنه "نادي البشر عذب الإلفاظ، مع حُسن الإلقاء " وافاه أجله بمكة المشرفة ودفن بمقبرة المعلاة[٩٥].

---

(٩٣) العجيمي: **مخطوط خبايا الزوايا**، ص ٣٧٧.

(٩٤) المصدر السابق، ص ١٢٣؛ المحبي: **خلاصة الأثر**، ١ / ٤٤؛ مرداد: **المختصر من كتاب نشر النور**، ص ٣٨

(٩٥) العجيمي: **مخطوط خبايا الزوايا**، ص ١٢٥.

**٥– أبو مهدي عيسى بن محمد بن محمد بن أحمد الثعالبي (ت ١٠٨٠هـ/١٦٦٩م):**

ترجم له العجيمي ترجمة واسعة فقال: " الشيخ عيسى بن محمد بن محمد بن أحمد بن عامر الثعالبي الجعفري، نسبة إلى جعفر ابن أبي طالب رضي الله عنهما، المغربي المالكي، ولد في حدود الألف والعشرين في زواوة، بلدة بالمغرب، ونشأ بها " حفظ القرآن الكريم والعديد من كتب الفقه والعربية والمنطق[٩٦].

اتجه أبو مهدي إلى الجزائر حيث أخذ هناك " الرسم والضبط والنحو والتصريف والمعاني والبيان و البديع والعروض والقوافي والأصلين والحديث والمصطلح والتفسير والتصوف " وكان ملازماً للشيخ علي بن عبد الواحد الأنصاري مدة تزيد على العشر سنوات؛ وتنقل بعد ذلك بين مراكز العلم في شمال إفريقية مثل تونس وقسنطينة؛ ثم شد الرحلة إلى مكة المشرفة لأداء فريضة الحج عام (١٠٥٤ هـ / ١٦٤٤ م) وبعد أن أكمل حجه جاور بها ثلاث سنوات، سكن خلالها في خلوة برباط باب الداودية؛ منكباً على تحصيل الحديث على يد الشيخ علي باحاج، ورغب في الاستزادة من العلوم فرحل إلى مصر وتابع الأخذ، وكان في كل تنقلاته يفيد ويستفيد؛ ثم عاد إلى مكة المشرفة مستوطناً، وملازماً لزيارة المسجد النبوي سنوياً. أجازه علماء وفضلاء مكة المشرفة وأثنوا عليه كثيراً، منهم: الشيخ عبد العزيز الزمزمي، والقاضي تاج الدين المالكي، وصفي الدين القشاشي، وزين العابدين الطبري وأخواته، وعلي بن الجمال وغيرهم. امتلك أبو مهدي كتباً كثيرة بعضها بالشراء والبعض الآخر نسخها بخطه. له الكثير من المؤلفات منها: مقاليد الأسانيد، ذكر فيها شيوخه المالكية وأسماء رواة الإمام أبي حنيفة وفهرسة شيخه البابلي وغيرها؛ تصدر للتدريس بالمسجد الحرام في العديد من العلوم؛ وأخذ عنه الجمع الغفير من العلماء مثل: إبراهيم الكوراني،

(٩٦) المصدر السابق، ص ٣٠٨.

وحسن العجيمي، وأحمد النخلي، والسيد محمد الشلي وغيرهم. عُرف عنه حث تلامذته على كثرة المطالعة. توفى بمكة المشرفة عام (١٠٨٠ هـ / ١٦٦٩ م) ودفن بمقبرة المعلاة(٩٧).

**٦– أحمد بن عبد العزيز السجلماسي العباسي (ت ١٠٨٥هـ/١٦٧٤م):**

الشيخ أحمد بن عبد العزيز السجلماسي العباسي؛ من أعلام وأدباء المغرب البارعين، رحل لمكة المشرفة لأداء فريضة الحج عام (١٠٨٢ هـ / ١٦٧١ م) أحب المجاورة فمكث بها مدة تصدَر خلالها لإملاء الأدب والشعر بالمسجد الحرام؛ ثم رحل إلى مصر عام (١٠٨٥ هـ / ١٦٧٤ م) حيث وافاه أجله هناك في نفس السنة(٩٨).

**٧– عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن المكناسي (١٠٨٥هـ/١٦٧٤م):**

عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد الأدريسي المكناسي الحسني المغربي الشهير بالمحجوب؛ نزيل مكة المشرفة. ولد بمكناسة الزيتون بالمغرب الأقصى عام (١٠٢٣ هـ / ١٦١٤ م) وذكر العجيمي مولده في عام (١٠٢٥ هـ / ١٦١٦ م)؛ تطوف رحالاً في المغرب ومصر والشام وإسطنبول؛ وانتشر ذكره هناك حيث بقى بها سنتين، ولما علم السلطان مراد بخبره كان قد رحل منها إلى مكة المشرفة، فلام خواصه لعدم إعلامه بوجوده في إسطنبول، حج عام (١٠٤٣ هـ / ١٦٣٣ م) وجاور؛ ثم رحل إلى اليمن للقاء العلماء بها، عاد بعدها إلى مكة المشرفة، وأصبح مرجع أهلها والقادمين عليها. عُرف عنه حبه للعلماء وإكرامهم؛ فقد وصف بالكرم الشديد، كانت لديه حظوة ولا ترد له شفاعة، وكان مقبولاً من الخاصة والعامة، ترد إليه أموال كثيرة من أقطار العالم الإسلامي مثل المغرب، والهند، والشام، ومصر

(٩٧) المصدر السابق، ص ٣٠٨ – ٣١٣؛ المحبي: **خلاصة الأثر**، ٣ / ٢٤٠ – ٢٤٣؛ مرداد: **المختصر من كتاب نشر النور**، ص ٣٨٣ – ٣٨٥.

(٩٨) المحبي: **خلاصة الأثر**، ١ / ٢٣٦ – ٢٣٧.

فيستعين بها على مصروفاته الكثيرة في البر والإحسان، فقد اشترى بمكة المشرفة دوراً كثيرة أوقفها على الفقراء، وكان دائم السعي في عتق رقاب العديد من العبيد؛ رفع أمره إلى السلطات العثمانية حتى ترسل إليه ما يكفيه من الحبوب، سخر كل ما يملكه في تفريج كُرب الفقراء والمحتاجين وكسوتهم، ومع كثرة ما يرده من أموال كان متقشفاً في ملبسه، مكباً على فعل الخيرات، مواظباً على العبادة. وافاه أجله عام (١٠٨٥ هـ / ١٦٧٤ م)[٩٩].

**٨– محمد الشهير بالمرابط ابن محمد القشتاوي الدلائي المغربي(ت١٠٩٠هـ/١٦٧٩م)**

محمد الشهير بالمرابط ابن محمد القشتاوي الدلائي المغربي؛ وصفه العجيمي " بالشيخ العلامة الحجة الفهامة سيبويه زمانه، جمال علماء أوانه، المحدث الفقيه المفنن، البينة، ريحانة الأدب "؛ ولد بداية الألف، ونشأ في موطنه، تتلمذ على يد والده من العلوم العقلية والنقلية الشيء الكثير؛ وأخذ على جُل العلماء الوافدين على والده مثل: الشيخ أحمد بن علي بن عمران. وساح في المغرب متنقلاً يرتشف العلم من علمائها فدخل فاس وأخذ على العلامة أبي عبد الله محمد العربي الفاسي؛ ودأب على النهل من العلم حتى ذاع صيته؛ وانهال عليه طلبة العلم هناك للأخذ عليه. رحل لمكة المشرفة لأداء فريضة الحج عام (١٠٦٠ هـ / ١٦٥٠ م) وجاور بها؛ وكعادته انتهز الفرصة فأخذ على الشيخ عيسى الثعالبي، والشريفة مباركة بنت عبد القادر الطبري، والشيخ محمد بن سليمان الروداني؛ وتصدر لإقراء الحديث والعربية بالمسجد الحرام؛ وبعدها تاقت نفسه لزيارة المسجد النبوي، فجاور بالمدينة النبوية فترة؛ له العديد من المؤلفات في العربية والحديث[١٠٠].

---

(٩٩) العجيمي: **مخطوط خبايا الزوايا**، ص ٢٤٠ – ٢٥١؛ المحبي: **خلاصة الأثر**، ٢ / ٣٤٦ – ٣٤٩؛ الطبري: **إتحاف فضلاء الزمن**، ٢ / ١١٣.

(١٠٠) العجيمي: **مخطوط خبايا الزوايا**، ص ٣٧٥.

**٩ – محمد بن سليمان الروداني السوسي (ت ١٠٩٤ هـ / ١٦٨٢ م):**

الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن سليمان بن الفاسي ابن الطاهر السوسي الروداني المغربي المالكي، ثم المكي، نزيل الحرمين؛ الإمام المحدث المسند الرحالة، فرد الدنيا في العلوم، حكيم الإسلام، ولد بتارودانت بالمغرب الأقصى عام (١٠٣٧ هـ / ١٦٢٧ م)[١٠١]. عالم فذ، قدر له العيش في عصر ليس عصره؛ أثنى عليه كل من ترجم له، فمن ذلك قول معاصره وصاحبه الرحالة العياشي: " أعجوبة الدهر في الذكاء وصنعة اليد، فلا يكاد يتعاصى عليه شيء من الصناعات المندرسة التي لم يبق إلا أخبارها فضلاً عن الموجودة "[١٠٢]. وممن عاصره أيضاً العجيمي فقال عنه: " العلامة الفهامة الجهبذ الهمام الجامع للعلوم الشرعية والأدبية ومحقق الفنون العقلية الحكمية "[١٠٣]. وأثنى عليه الشلي الذي عاصره أيضاً فمما قاله: " المفنن في جميع العلوم المشهور عند العرب والروم"[١٠٤]. ووصفه القادري بقوله: " من أعاجيب الزمان"[١٠٥]. وحلاه المحبي " بالإمام الجليل المحدث المفنن فرد الدنيا في العلوم كلها، الجامع بين منطوقها ومفهومها، والمالك لمجهولها ومعلومها"[١٠٦]. ونعته مخلوف بقوله:

---

(١٠١) الكتاني: **فهرس الفهاس**، ١ /٤٢٥.

(١٠٢) العياشي: **ماء الموائد**، ٢/ ٩٧.

(١٠٣) العجيمي: **مخطوط خبايا الزوايا**، ص ٣٦٤.

(١٠٤) الشلي: **مخطوط كتاب عقود الجواهر**، ص ٢٩٥.

(١٠٥) **القادري**، محمد بن الطيب ( ت ١١٨٧ هـ / ١٧٧٣ م): **كتاب إلتقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من اخبار وأعيان المائة الحادية عشر والثانية عشر**، تحقيق هاشم العلوي القاسمي، بيروت، دار الأفاق الجديدة، ط ١، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م. ص ٢٢٩.

(١٠٦) المحبي: **خلاصة الأثر**، ٤ / ٢٠٤.

" الإمام العالم الجليل المحدث المقرئ النبيل فرد الدنيا "[١٠٧]. وكذلك حلاه الطبري بقوله : " علامة زمانه وفريد أوانه "[١٠٨].

ومما أوردناه من صفات لهذا العالم الجليل الذي أجمع على تفرده مؤرخو المشارقة والمغاربة ؛ نجد أنه لا شك يستحق ذلك، ويبدو أنه قليل في حقه، فهو لم ينل ما يستحق ولم يأخذ حظه وقدره، فقد طواه النسيان ولا يجد من يشير إليه الآن[١٠٩].

جال الشيخ محمد بن سليمان رحالاً لطلب العلم منذ صغره، فقرأ القرآن الكريم، وتنقل بين مدن المغرب لأخذ العلم، فدخل درعة ولزم العلامة محمد بن ناصر الدرعي أربعة أعوام ؛ حصل خلالها علم التفسير، والحديث، والفقه، والعربية، والبيان والمعاني، والتصوف، انتقل بعدها إلى سجلماسة، وواصل رحلته إلى مراكش ؛ فرشف من معين علم الفلك وغيرها من العلوم على الشيخ محمد بن سعيد السوسي المراكشي، ولما كانت نفسه تواقة للمزيد رحل إلى تادلا، ودخل بعدها فاس ؛ فدرس الحكمة والهيئة، والتنجيم وإن لم يتعاطه، ودرس الحساب، والمنطق، والطبيعة، والمقابلة، والمخروطات، والمتوسطات، والمجسطي، والموسيقى، والمساحة، وما شابهها من العلوم على الشيخ محمد بن عبد الله ابن معن الأندلسي[١١٠].

---

(١٠٧) مخلوف: **شجرة النور**، ٣١٦.

(١٠٨) الطبري:**إتحاف فضلاء الزمن**، ٢ / ١٢٩.

(١٠٩) **بوزيد**، أحمد: **محمد بن سليمان الروداني من أعلام المغرب في القرن الحادي عشر الهجري**، منشورات عكاظ، د. ت، د. م. أوسع من ترجم له، وإن أغفل ما صنعه بالحرمين الشريفين وخاصة مكة المشرفة. أنظر كامل المؤلف لزيادة الإطلاع.

(١١٠) العياشي: **ماء الموائد**، ٢ / ٨١ – ٨٢؛ الشلي: **مخطوط كتاب عقود الجواهر**، ص ٢٩٦؛ العجيمي: **مخطوط خبايا الزوايا**، ص ٣٦٤؛ المحبي: **خلاصة الأثر**، ٤ / ٢٠٤، ٢٠٧.

ولما كان رحالتنا لا يقنع من التزود بالعلم، رحل إلى الجزائر، وأخذ على الشيخ سعيد بن إبراهيم قدورة وغيره، وطاف بعدها في مدن الشمال الإفريقي إلى أن دخل القاهرة؛ فأخذ على أعلامها الأعلام مثل الأجهوري، والشهاب الخفاجي، وشهاب الدين أحمد بن سلامة القليوبي، والعلامة سلطان المزاحي، ثم شد رحاله إلى إسطنبول، وهي رحلته الأولى لها، ثم كر راجعاً إلى القاهرة؛ بعدها تاقت نفسه إلى جوهرة المراكز العلمية لأداء فريضة الحج، فدخل الحجاز سالكاً طريق الصعيد في حدود الستين بعد الألف؛ وبعد إكمال نسكه توجه إلى المدينة النبوية وجاور بها سنين كان خلالها مواظباً على أداء الحج سنوياً. وقد آثر عالمنا الرحالة الانعزال عن الناس بالمدينة النبوية، إذ يبدو أنه لم يرق له طريقة تعامل بعض الناس المخالفة للشرع في بعض أمورهم، ويظهر أنه قام بنصحهم فتألبوا عليه وأغروا به العامة؛ فسكن ببيت في آخر رباط قايتباي منكباً على الاطلاع والتأليف والاختراع، واستقبال عددٍ محدودٍ من طلبة العلم. فقد ناقشه العياشي في عدم مخالطته للناس فرد عليه قائلاً: " من فساد الوقت ونيات أهلها ومشاهدة المناكير مع عدم القدرة على زوالها، كلِبس الحرير وتعاطي الدخان.. وأكل المكوس وتعاطيهم للعقود المحرمة شرعاً مع العلم بذلك..". فهذا الأمر جعله منطوياً، لعدم قدرته على التغيير؛ ولكن لما واتته الفرصة لم يتردد لحظة، وشمر عن ساعد الجد وأصلح الكثير من الأمور حتى عُد مصلح القرن الحادي عشر الهجري. وكان الشيخ مدة مجاورته وحتى أثناء ترحاله يتكسب من عمل يده، ومن الأعمال التي يجيدها وهي كثيرة مثل: الطرز، والصياغة، والخرازة، وتسفير الكتب، وصناعة

الزجاج، حتى إنه ليصلح المكسور فيبدو كأن لا أثر للكسر فيه ؛ بالإضافة إلى بيعه لآلة التوقيت التي كان يصنعها وتباع بأثمان غالية لشدة منفعتها(١١١).

ومن ضمن العلوم التي أتقنها الشيخ محمد بن سليمان علم الطب، فقد ذكر الرحالة الدرعي " أنه لا يساويه في براعته إلا داوود الأنطاكي "(١١٢).

خرج الشيخ محمد بن سليمان من المدينة النبوية بعد أن أطلق الحسدة ألسنتهم فيه ؛ وتوجه إلى مكة المشرفة وأستوطنها ؛ إذ وجدها فاتحةً ذراعيها له، ولقى فيها القبول والتقدير لعلمه وفضله، فتصدر للتدريس، بل تولى منصب الإمامة والفتوى بالحرم المكي الشريف. وفي مكة المشرفة واصل عالمنا الرحالة البحث والاطلاع والتأليف ؛ وعمل في صحن المسجد الحرام مزولة ؛ عبارة عن ساعة في شكل أولي لتحديد أوقات الصلوات عام (١٠٧٩ هـ / ١٦٦٨ م)، ولكن مثل هذا العمل الجليل الذي يستفاد منه عارضه جهلة الناس، ولكنه استطاع في النهاية تركيبها فعمَ نفعها المسلمين. وفي عام (١٠٨١ هـ / ١٦٧٠ م) قدم مصطفى بك أخو الوزير الأعظم بالدولة العثمانية أحمد باشا الكبر لي، فاجتمع به وأعجب بعلمه، ودعاه لمرافقته إلى إسطنبول لمقابلة الوزير الأعظم الذي كان يحب الاطلاع على العلوم الفلكية ؛ فرحل معه وكانت هذه رحلته الثانية إلى إسطنبول، وهناك اجتمع بالوزير الأعظم والسلطان العثماني محمد الرابع، وأخبره الشيخ محمد بن سليمان عن حال الحرمين الشريفين، فأصدر له مرسوماً فوضه فيه للنظر في أمور الحرمين الشريفين وإصلاحهما ؛ بل فوَض إليه تولية من يراه الأصلح لحكمها ؛ فولى الشريف بركات بن محمد، ولبس الخلعة في دار الشيخ محمد بن سليمان بمنى ؛ وأصبح للشيخ نفوذ فاق نفوذ الشريف، الذي لا

(١١١) العياشي: **ماء الموائد**، ٢ / ٨٢، ٨٨ – ٨٩؛ الشلي: **مخطوط كتاب عقود الجواهر**، ص ٢٩٥ – ٢٩٦؛ العجيمي: **مخطوط خبايا الزوايا**، ص ٣٦٤ – ٣٦٥.

(١١٢) **الدرعي**: أحمد بن ناصر ( ت ١١٢٨ هـ / ١٧١٥ م ): **الرحلة الناصرية**، الطبعة الحجرية، ١ / ٢٣٢.

يستطيع أن يصدر أمراً إلا بعد موافقة الشيخ محمد بن سليمان، وهنا واتت الشيخ الفرصة للإصلاح فانبرى لذلك لا يلتفت إلى المعترضين، واستمر هكذا إلى أن توفى الوزير الأعظم، الذي كان يستمد النفوذ منه؛ فورد أمر من الوزير الجديد بتحذيره من التدخل في أمور الحرمين الشريفين عام (١٠٨٧ هـ / ١٦٧٦ م) بعد ذلك سعى المتنفذون والمستفيدون من بقاء الأمور على حالها ضده. فخرج إلى الطائف، ومنها إلى وادي مر، ومنه إلى المدينة النبوية، فأقام بها أربع سنوات، بنى هناك داراً له لصيقة بالمسجد النبوي من الشمال. ثم عاد بعدها إلى مكة المشرفة عام (١٠٩١ هـ / ١٦٨٠م) وبقى بها إلى عام (١٠٩٣ هـ / ١٦٨٢ م). ولكن من لم يعجبه وجوده بها وخوفاً من عودة نفوذه وشى به إلى السلطنة العثمانية، فورد أمرٌ بإخراجه من مكة المشرفة، فخرج منها بعد أن أدى فريضة الحج، واتجه إلى دمشق حيث توفى هناك عام (١٠٩٤هـ / ١٦٨٢ م)[١١٣].

ترك الشيخ الروداني العديد من المؤلفات الدالة على سعة علمه وعلو كعبه منها: كتاب الجمع بين الخمسة والموطأ على طريقة ابن الأثير في جامع الأصول، مختصر التحرير في أصول الحنفية لابن الهمام وشرحه، مختصر تلخيص المفتاح وشرحه، مختصر ألفه في الهيئة، الحاشية على التسهيل، الحاشية على التوضيح، منظومة في علم التوقيت وشرحها، جدول جمع فيه مسائل العروض كلها، صلة الخلف بموصول السلف، اخترع آلة للتوقيت وألف في طريقة صنعها وضبطها، أهدى

(١١٣) الشلي: **مخطوط كتاب عقود الجواهر**، ص ٢٩٦، المحبي: **خلاصة الأثر**، ٤ / ٢٠٥؛ العصامي: **سمط النجوم**، ٥٠٥، ٥٤٣ – ٥٤٤؛ الطبري: **إتحاف فضلاء الزمن**، ٢ / ١٠١، ١٠٧ – ١٠٨، ١١٧ – ١١٨، ١٢٢، ١٢٨ – ١٢٩.

واحدة منها للعياشي، وقد انتشرت هذه الآلة التي هي عبارة عن كرة في الحجاز واليمن والهند(١١٤).

وبالجملة فهذا الشيخ " أعجوبة الدهر في الذكاء وصنعة اليد، فلا يكاد يستعصى عليه شيء من الصناعات المندرسة التي لم تبق إلا أخبارها فضلاً على الموجودة " يعرف أنواع الحساب والمقابلة والموسيقى، وله معرفة تامة بالعربية، وكذلك التفسير، وأسماء الرجال، يحفظ التواريخ وأيام العرب ووقائعهم والأشعار والمحاضرات وغير ذلك مما لا حصر له(١١٥). أما في الحديث فقد كانت مرتبته الثانية من مسندي الحجاز السبعة والذين قويت بهم شوكة الحديث وهم على التوالي: (الثعالبي، ابن سليمان الروداني، البرهان الكوراني، الفقيهة المسندة قريش الطبرية آخر الفقهاء الطبريين، ويليها العجيمي، ثم النخلي وآخرهم البصري)(١١٦).

وفيما سبق تم سرد سير بعض العلماء الرحالة المغاربة وإن كان هناك توسع في سير بعضهم فإن ذلك لعظم الدور الذي قاموا به في مكة المشرفة، ولكنهم بالعموم أثروا الحراك الثقافي والاجتماعي، وأسهموا في خدمة المجتمع المكي علمياً، بل في الجانب الاقتصادي أيضاً.

## المبحث الثالث: دور الرحالة العلماء المغاربة في الحياة العامة بمكة المشرفة

إن الرحالة العلماء المغاربة يمكن تشبيههم بالنحل المتنقل بين زهرات المراكز العلمية، ينهلون من رحيق علوم علمائها، صابين شهد ما جمعوه من علوم في

---

(١١٤) العياشي: **ماء الموائد**، ٢ / ٩٢ – ٩٨؛ العصامي: **سمط النجوم**، ٤ / ٥٤٣؛ العجيمي: **مخطوط خبايا الزوايا**، ٣٦٧؛ المحبي: **خلاصة الأثر**، ٤ / ٢٠٥ – ٢٠٦.

(١١٥) العياشي: **ما الموائد**، ٢ / ٩٧.

(١١٦) الكتاني: **فهرس الفهارس**، ٢ / ٩٤١ – ٩٤٢.

الحرمين الشريفين، فمكة المشرفة كانت بمثابة الخلية الأم التي تجتمع فيها كل ألوان العلوم.

كان لكل رحالة من هؤلاء العلماء مذاقٌ خاص، وعلم انفرد ونبغ فيه عن غيره، بحسب ميله وما تخصص فيه؛ فكان المستفيد الأعظم هو مدينة مكة المشرفة بما وجد فيها من علماء، وما مجيئهم إليها إلا بما حباها الله تعالى من وجود البيت الحرام الجاذب لعموم المسلمين ومنهم المغاربة، فقد قام كل واحدٍ منهم بأداء دورٍ في خدمة الحياة العامة بها، خاصة كما ذكرنا سابقاً أنهم مرحب بهم فيها. وقد دأب الباحثون على التركيز أكثر على دورهم العلمي، ولكن كانت لهم إسهامات أخرى؛ فكل واحدٍ منهم أسهم بما مالت إليه نفسه من علمٍ حباه الله به فيزيد من الحصيلة العلمية والثقافية؛ فمنهم من دعم رواج علم الحديث النبوي الشريف، ومنهم من زاد المخزون الأدبي والشعري واللغوي، وجميعهم رفد المكتبة الإسلامية بوابل من الكتب الهامة. وبعضهم زاد على ذلك بالتخفيف من أوجاع الفقراء وأزال ما اعتراهم من ضيقٍ أو ظلمٍ، و تحسين لأوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية، ونجد أن ما قاموا به لا يريدون من ورائه إلا المثوبة من الله تعالى وابتغاء الأجر منه؛ سواء منهم من نشر علماً أو قدم خدمة لأهلها.

وفي هذا المبحث سنتقصى قدر الاستطاعة ما قام به هؤلاء الرحالة العلماء المغاربة من أدوار فمثلاً:

علم الحديث: جلس منهم المقري بالمسجد الحرام لإملاء الحديث سنوات مجاورته، ملتفين حوله طلبة العلم بشغفٍ ناهلين مما حمله إليهم من هذا العلم

الشريف ؛ وهو لا يبغي من وراء ذلك إلا الأجر والبركة من الله تعالى فقال : " وأمليت فيها بقصد التبرك دروساً عديدة "[١١٧]. فكانت الغاية المثوبة والبركة.

ويعد خالد الجعفري قامة هائلة في تصدر علم الحديث وتدريسه بالمسجد الحرام ، كما كان أيضاً رأس الإفتاء بمكة المشرفة ، فهو المرجع في التمييز بين الحلال والحرام[١١٨].

أما أبو مهدي الثعالبي فهو أول مسانيد الحديث السبعة بالحجاز في ذلك الوقت ، جلس للتدريس بالمسجد الحرام رافعاً لواء الحديث الشريف ناشراً له مع غيره من فنون العلم ، أخذ عنه جمعٌ غفير من العلماء شرقاً وغرباً ، كما فتح داره لمن أراد الاستزادة من الحديث الشريف بدون كللٍ أو ملل ، أوقاته كلها معمورة بين التدريس والعبادة والتأليف والمواظبة على زيارة المسجد النبوي سنوياً[١١٩]. قال عنه الشلي : " إمام الحرمين المشرفين وعلم المغربين والمشرقين جامع أشتات العلوم النقلية ، ومبرزاً خفاء لطائف الآراء العقلية ، محيي رسوم الرواية بعدما عفت آثارها ومشيد مبانيها بعدما انهار منارها... ساير سيرة الإنصاف والتواضع "[١٢٠].إلى غير ذلك من الأوصاف الدالة على عظم دوره في رواية الحديث.

---

(١١٧) المحبي: **خلاصة الأثر**، ١ / ٣٠٤؛ **التازي**، عبد الهادي: **رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة**، مراجعة عباس صالح طاشكندي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، فرع موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م. ١ / ١٩٣.

(١١٨) المحبي: **خلاصة الأثر**، ٢ / ١٢٩.

(١١٩) العياشي: **ماء الموائد**، ٢ / ٢٥٣؛ العجيمي: **مخطوط خبايا الزوايا**، ٣٠٨ – ٣١٣؛ المحبي: **خلاصة الأثر**، ٣ / ٢٤٢؛ أبو الخير: **كتاب مختصر نشر النور**، ٣٨٤؛ الكتاني: **فهرس الفهارس**، ٢ / ٩٤١ – ٩٤٢.

(١٢٠) الشلي: **مخطوط كتاب عقود الجواهر**، ٢٦٢.

وجلس محمد بن سليمان الروداني لتدريس الحديث بالمسجد الحرام، وأخذ عنه الكثير من العلماء، وخلف العديد من الكتب الحديثية التي تدل على تضلعه في هذا العلم الشريف[١٢١].

العربية والأدب والثقافة: إذا وقفنا في زاوية الأدب والشعر والثقافة نجد إبراهيم الأنسي، الذي حباه الله تعالى برقة الأسلوب وجزالة الشعر، فعقد صداقات عديدة مع أدباء مكة المشرفة، وكانت مراسلاته دائماً شعراً ونثراً[١٢٢].

إن مكة المشرفة مركزٌ لاستقطاب العدد الكبير من الرحالة العلماء المغاربة ذوي النبوغ العلمي والأدبي في اللغة العربية، ومنهم محمد عاشور المغربي، الذي وصف بسيبويه عصره، فأمثال هؤلاء العلماء الأعلام بمجرد وصولهم إلى مكة المشرفة يتلقفهم علماؤها بالترحاب وعقد الصداقات والمراسلات المستمرة معهم[١٢٣]. إذ لا شك أن صيتهم قد وصل إلى نظرائهم بمكة المشرفة قبل وصولهم.

ونجد أحمد عبد العزيز السجلماسي متصدراً زاوية الأدب والشعر، فقد أخذ على عاتقه الجلوس في المسجد الحرام لإملاء الأدب والشعر، فالأدب والشعر كانا من العلوم التي حرص طلبة العلم على أخذهما من كبار علماء هذا الفن[١٢٤]. كما لا ننسى محمد بن سليمان الروداني الذي كان عالماً لغوياً لا يشق له غبار[١٢٥]؛ ولا شك أنه كانت له حلقة لتدريس علمه وإن كانت المصادر ضنينة في ذكر ذلك.

---

(١٢١) الكتاني: **فهرس الفهارس**، ١ / ٤٢٥ – ٤٢٩.

(١٢٢) العجيمي: **مخطوط خبايا الزوايا**، ١٢٣ – ١٢٤؛ المحبي: **خلاصة الأثر**، ١ / ٤٤ – ٤٥.

(١٢٣) العياشي: **ماء الموائد**، ٢ / ١٠٧، ١٧١، ٣٧٥؛ المحبي: **خلاصة الأثر**، ٢ / ٢٨٧.

(١٢٤) المحبي: **خلاصة الأثر**، ١ / ٢٣٦.

(١٢٥) العياشي: **ماء الموائد**، ٢ / ٩٧.

الكتب العلمية والتأليف: لا بد لأي علمٍ من كتب، تدفع عجلة الحركة العلمية والثقافية قدماً، ومكة المشرفة زخرت بالكثير من الكتب العلمية التي تركها علماء رحالة بها وقفاً على طلبة العلم، أو ساهم العلماء بتأليفها وإثراء المكتبة العلمية بها(١٢٦). بل إن هبة الكتب بين علماء مكة المشرفة ونظائرهم العلماء الرحالة المغاربة كان أمراً بارزاً ومن أبرز سمات التبادل الثقافي والعلمي بينهما، بل لم يقتصر الأمر على ذلك فقد كان علماء مكة المشرفة يصرون على نظرائهم المغاربة بكتابة مقدمة لكتبهم كما فعل العياشي مع حسن العجيمي، بالإضافة إلى تسمية الكتب نيابة عنهم مثلما فعل الثعالبي مع العياشي(١٢٧). مع الأخذ في الاعتبار وجود كتب الرحالة العلماء السابقين وعلماء مكة المشرفة وهي لا تزال تتداول. والمتصفح لكتب الرحلات المغربية في القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي يجدها مليئة بأسماء الكتب العلمية التي كانت مدار الدرس والتعليم وعلى سبيل المثال رحلة العياشي ماء الموائد(١٢٨).

وإن من أهم أسباب تضخم المكتبة العلمية بمكة المشرفة حرص العلماء على أن تكون لهم مكتباتهم الخاصة، ولم يشذ الرحالة العلماء المغاربة عن ذلك، فالثعالبي كوّن مكتبة ضخمة عن طريق الشراء والنسخ، بالإضافة إلى التأليف. وعندما يرى طلبة العلم بمكة المشرفة شيوخهم منكبين على العلم والاطلاع على الكتب لا شك أن ذلك

(١٢٦) العياشي: **ماء الموائد**، ٢ / ١٣٣؛ الشلي: **مخطوط كتاب عقود الجواهر**، ص ٢٤٣.

(١٢٧) العياشي: **ماء الموائد**، ٢ / ١٧٦، ١٨٠.

(١٢٨) المصدر السابق والجزء، ص ٢٧٩ – ٢٨٠، ولمزيد من المعلومات العودة لهذه الرحلة القيمة.

له أكبر الأثر في اتباعهم واقتفاء تلاميذهم أثرهم فيما يفعلون، خاصة إذا وجدوا منهم الحث على ذلك كما كان يفعل الثعالبي مع طلبته(١٢٩).

**التكافل الاجتماعي والخدمات الاجتماعية:**

إن المتصفح لكتب التراجم يلفت انتباهه إسهام الرحالة العلماء المغاربة، فالثعالبي كان يأخذ على عاتقه قيادة وتسيير قافلة الزيارة للذهاب إلى المدينة النبوية والعودة بها، خدمة لأهل مكة المشرفة والراغبين في الزيارة من غيرهم. فقد كان يضبط أمورها بحسن قيادته لها وإبعادها في أثناء سيرها عن مواطن الخطر، وهو في كل ذلك قائمٌ على حفظها خير قيام(١٣٠).

أما من اضطلع بالتخفيف عن فقراء مكة المشرفة وأهلها خاصة في أوقات الأزمات الاقتصادية، فنجد الثعالبي وعبد الرحمن المكناسي ومحمد بن سليمان الرودانـي؛ يتصدرون هذا الأمر شفقةً وعطفاً عليهم؛ فقد قام ثلاثتهم في عام (١٠٧٩هـ / ١٦٦٨ م) عندما قلت الأقوات بمكة المشرفة واشتد الأمر والحال على الفقراء بادروا بحث الأمراء والأغنياء للمساهمة بما يقدرون عليه من مال وحبوب، فاشتروا الحبوب بالإضافة إلى الحبوب التي تبرع بها الأمراء والأغنياء، مع ما وجد من دشيشة السلطان التي لم تكن كافية حينها، فطبخوها ووزعوها على الفقراء والمحتاجين، وحصل بفعلهم هذا رفقٌ كبير بالناس(١٣١).

ونجد أيضاً من هؤلاء الرحالة العلماء المغاربة من كان همه الأوحد تقديم المساعدة للمحتاجين، فكان المتصدر لهذا الأمر والمباشر له عبد الرحمن المكناسي،

---

(١٢٩) الشلي: **مخطوط كتاب عقود الجواهر**، ص ٢٦٢ – ٢٦٣؛ العجيمي: **مخطوط خبايا الزوايا**، ص ٣١١، أبو الخير: **كتاب مختصر نشر النور**، ٣٨٤.

(١٣٠) العصامي: **سمط النجوم**، ٤ / ٤٩٤ – ٤٩٥.

(١٣١) المصدر السابق والجزء، ص ٥٠٢ – ٥٠٣.

الذي وصف بالكرم الشديد، والمحبة للجميع، فعم نواله الأمراء والعامة والخاصة[١٣٢]. فقد كانت له مكانة سامقة بمكة المشرفة، وحظوة وقبول تام عند أمرائها، خاصة الشريف زيد بن محسن، وله مراسلات مع الشريف سعد بن زيد، وشفاعته لا ترد أبداً. وكانت ترد لهذا الشيخ أموال كثيرة من المغرب والشام ومصر والهند يستعين بها في تفريج كرب الناس، فيشتري بها الدور الكثيرة بمكة المشرفة ويوقفها على المحتاجين، ويشتري العبيد ويعتقهم، ويسدد ديون المعسرين، و له العديد من العبيد والجواري للخدمة. ووزع سكناه بين مكة المشرفة والطائف؛ وقيل: إنّ الفقراء في ذلك الوقت عالة عليه، وهو في حاله هذا لا يهاب أحداً؛ ولا يلتفت لأمير ولا يحقر ضعيفاً، حتى وإن دخل عليه أحد أبناء الأمير لا يلتفت إليه إلا بعد قضاء حوائج الناس فهم عنده سواء، كما تكفل بضيافة القادمين على مكة والطائف، حتى عم كرمه وجوده الصادر والوارد، فقد كان يصرف المال ولا يبقي منه شيئاً مهما بلغ كثرته[١٣٣].

**الإصلاح الديني والتنظيمات الاجتماعية**

لما قدم الشيخ محمد بن سليمان الروداني إلى الحجاز صُدم بما رآه من أمور مخالفة للشرع؛ ولما أحب نصح الناس لم يلق القبول، بل ناصبوه العداء وضيقوا عليه، فانعزل عنهم عندما جاور بالمدينة النبوية؛ إذ لم تكن له سلطة أو نفوذ يسنده لما رام فعله من إصلاح، ولما ضيق عليه في المدينة النبوية خرج منها للمجاورة بمكة المشرفة؛ وهناك بدأ ينشر علمه بطريقة عملية، فقام بعمل مزولة عبارة عن ساعة في شكلها

(١٣٢) الطبري:**إتحاف فضلاء الزمن**، ٢ / ١١٣.

(١٣٣) العياشي: **ماء الموائد**، ٢ / ٣٠٣ – ٣٠٦، ٢٥٨، ١٦٠؛ العجيمي: **مخطوط خبايا الزوايا**، ص ٢٤٩، ٢٤٤ – ٢٤٥؛ المحبي: **خلاصة الأثر**، ٢ / ٣٤٦ – ٣٤٩؛ الطبري: **إتحاف فضلاء الزمن**، ٢ / ١١٣.

الأول في صحن المسجد الحرام لتحديد أوقات الصلاة عام (١٠٧٩ هـ / ١٦٦٨ م) فعم نفعها المسلمين وقدم بها خدمة لهم(١٣٤).

ولما تهيأت الظروف وحانت الفرصة للروداني، وحصل على دعم السلطة العثمانية بعد أن فوض إليه أمر النظر في الحرمين الشريفين، وإصلاح أمورهما؛ كان أول أمرٍ فعله تعيين الشريف بركات بن محمد بدلاً من الشريف سعد بن زيد، وأصبح الشريف بركات لا يصدر أمراً إلا بموافقته(١٣٥).

إن التفويض الذي حصل عليه الروداني حوله من موقف الناصح إلى موقف المغير للأمور التي رآها مخالفة للشرع، فأحدث في السنوات التي كان فيها مسؤولاً عن أمور الحرمين الشريفين تصحيحاً للعديد من الأوضاع التي خدمت في مجملها أهل مكة المشرفة ومن ذلك:

أرجع وقف السلطان جقمق لمستحقيه، إذ كان يقسم حبوباً على فئة معينة من الناس فأعاده كما شرطه السلطان بطبخه شربة وخبز للفقراء. وأضاف إليها وقف السلطان قايتباي. كما أعاد الأربطة لمستحقيها بشرط الواقف.

منع ضرب الدفوف في الزوايا، ومنع النساء من الخروج ليلة المولد لما يحصل فيها من اختلاط، وكذلك منع مولد السيد العيدروس صاحب الشبيكة، لما يحدث فيه من خروج النساء والرجال معاً(١٣٦).

عمر الأربطة الداثرة والخربة وأسكن فيها المستحقين.

---

(١٣٤) العياشي: **ماء الموائد**، ٢ / ٨٨ – ٩٠؛ العصامي: **سمط النجوم**، ٤ / ٥٠٥؛ الطبري: **إتحاف فضلاء الزمن**، ٢ / ٩٤.

(١٣٥) الشلي: **مخطوط كتاب عقود الجواهر**، ص ٢٩٦، العصامي: **سمط النجوم**، ٤ / ٥٤٣؛ المحبي: **خلاصة الأثر**، ٤ / ٢٠٥؛ الطبري: **إتحاف فضلاء الزمن**، ٢ / ١٠١، ١٠٧ – ١٠٨.

(١٣٦) الشلي: **مخطوط كتاب عقود الجواهر**، ص ٢٦٧؛ العصامي: **سمط النجوم**، ٤ / ٥٢٤ – ٥٢٥.

أنشأ تربة بمقابر المعلاه، وأحدث مقابر جديدة عددها ثلاثة الآف وسبعمائة قبر جعلها مربعات على شكل رقعة الشطرنج بحيث يدفن فيها الفقراء والغرباء(١٣٧).

منع المكوس التي كانت تؤخذ من الحجاج، وأظهر إعلان السلطان ططر المنقوش على أحد أعمدة المسجد الحرام، وذلك بإعادة طلائه حتى يراه الجميع والمنصوص فيه إبطال المكوس. وكما يبدو من فعله هذا لكي يكون إعلاناً للجميع بعدم أخذها من القادمين إلى مكة المشرفة(١٣٨).

بنى لنفسه داراً وللفقراء أربطة جديدة، ومهد عقبة الحجون وعقبة منى(١٣٩).

وبالجملة نرى أن أفعاله وما قام به من إصلاح يدل على تمسكه بالشريعة الإسلامية، فقد فعل الخيرات ونشر المبرات، وأصلح ما اعترى الناس من أفعال مخالفة للشريعة الإسلامية؛ فأحيى الأوقاف الداثرة وأجراها على الواقفين حسب الاستطاعة، بل أصبح ناظراً على جميع أوقاف الحرمين الشريفين. فلم ترض عنه شخصيات كانت منتفعة ومستفيدة من الأوضاع السابقة فحاربته(١٤٠).

كان الشيخ الروداني مستمراً في إصلاحه بعزيمة قوية، ولكن وفاة الوزير الأعظم أحمد باشا الكبرلي وهو السلطة الداعمة له، جعل أمره يضعف، ولأن ما قام به من إصلاح لخدمة الناس لم يعجب المتنفذين وأصحاب المنافع الدنيوية كما وضحنا سابقاً؛ لذا سعوا في الوشاية به إلى أن جاء الأمر من الوزير الأعظم الجديد مصطفى

---

(١٣٧) الطبري: **إتحاف فضلاء الزمن**، ٢ / ١١٥؛ أبو الخير: **المختصر من كتاب نشر النور**، ص ٤٣٢.

(١٣٨) الطبري: **إتحاف فضلاء الزمن**، ٢ / ١١٠.

(١٣٩) العجيمي: **مخطوط خبايا الزوايا**، ص ٣٦٦؛ أبو الخير: **المختصر من كتاب نشر النور**، ص ٤٣٢.

(١٤٠) الشلي: **مخطوط كتاب عقود الجواهر**، ص ٢٦٧؛ العجيمي: **مخطوط خبايا الزوايا**، ص ٣٦٦.

باشا الذي خلف الوزير السابق بمنعه من تعاطي أي أمر يخص الحرمين الشريفين ؛ بل وصل الأمر بعد ذلك إلى نفيه منهما إلى بلاد الشام حيث توفي هناك[١٤١].

وهكذا طويت صفحة مصلح ديني واجتماعي وعالم جليل فذ سبق عصره بأفكار وعلم واختراعات ولم يأخذ حظه من الترجمة في كتب المشارقة فضلاً عن المغاربة ؛ وإن كان كل من ترجم له بالرغم من قصر ترجمته لا ينكر فضله وعلمه.

ومما سبق نجد أن العلماء الرحالة المغاربة لم يألوا جهدهم في خدمة مكة المشرفة وأهلها سواء بعلم أو بالقيام بخدمات اجتماعية استفاد منها أهلها، فدور الرحالة المغاربة لم يقتصر على الجانب العلمي فقط الأمر الذي أوضحناه خلال هذا البحث.

## الخاتمة

لم تنقطع رحلات المغاربة عن مكة المشرفة حتى في أحلك الظروف ؛ سواء كانت ظروفاً مغربية أو مشرقية. وقد اقتصر البحث على نماذج من العلماء الرحالة المغاربة ممن لهم مشاركات خدمت المجتمع المكي علمياً وثقافياً واجتماعياً وسياسياً. فرحلاتهم ربطت المغرب بالمشرق في إفادة واستفادة لكلا الجناحين على جميع الأصعدة.

ومن خلال اطلاعنا على بعض كتب التاريخ والتراجم المشرقية، وكذلك المغربية وجدنا الكثير من أخبار علماء القطرين وتراجمهما، وعليه يمكننا أن نطلق عليهم رسل التاريخ والعلم والثقافة.

خلص البحث إلى أن القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي كانت أغلب سنواته هادئة سياسياً إلا في بعض السنوات المتقطعة التي تأرجح فيها الوضع

---

(١٤١) العصامي: **سمط النجوم**، ٤ / ٥٤٣؛ الطبري: **إتحاف فضلاء الزمن**، ٢ / ١٢٧.

السياسي لعدة أسباب منها: ماهو خارجي مثل وقعة الجلالية، ومنها بسبب تدخلات باشوات جدة لأمورٍ شخصية بينهم وبين أمراء مكة المشرفة، وداخلية بين الأشراف مع بعضهم البعض لسوء التصرف؛ الأمر الذي يؤدي لتحزبهم ضد أمير مكة المشرفة؛ وقلة بسبب جشع وزراء الشريف مما ينتج عنه ظلمٌ للسكان.

وخلص البحث أيضاً إلى أن طول فترة حكم أمير مكة المشرفة يعود بالاستقرار على الإمارة مثل فترة حكم الشريف زيد بن محسن، كما أن قوة الشريف وقدرته على تصريف الأمور وضبطها يعقبه رخاء وأمن لمكة المشرفة وأهلها.

ومما استنتج كذلك أن القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي انتشر بمكة المشرفة علماء أفذاذ تتلمذ على يديهم الجمع الغفير من علماء العالم الإسلامي، ويمكننا أن نطلق على هذا القرن قرن علماء الحديث لتصدر الكثير منهم لإقرائه، والتأليف فيه فخلفوا الكثير من المؤلفات القيمة التي أثرت المكتبة الإسلامية، بالإضافة إلى ما حملوه معهم من كتب تركوها بمكة المشرفة، فدورهم لا ينكر في خدمة العلم وطلابه؛ بل ظهر منهم علماء موسوعيون ومخترعون مثل الشيخ الروداني.

تصدر العلماء الرحالة المغاربة قائمة علماء الحديث مثل الثعالبي والروداني، ومنهم من سطع نجمه في العربية مثل المقري، أو من نذر نفسه لخدمة المجتمع المكي وتحملهم عبء مساعدة الفقراء والمحتاجين بقدر استطاعتهم سواء من مالهم أو بحث القادرين على البذل للتخفيف عن المحتاجين كالمكناسي والروداني والثعالبي.

اتسمت علاقة هؤلاء العلماء المغاربة بأشراف مكة المشرفة بالانسجام والاحترام المتبادل، مفسحين لهم المجال للتعليم، بل شغل العديد من الوظائف الدينية بها.

وخلص البحث إلى أن هناك ترجمات طويلة لبعضهم وأخرى قصيرة حسب ما ذكر في كتب التراجم والتاريخ المكي، وسواء كانت الترجمة طويلة أو قصيرة توضح ما

أسهم به هؤلاء العلماء الرحالة المغاربة وهو كثير لا ينكر. كما وجد تراجم للعديد من العلماء المغاربة تحتاج إلى التفات الباحثين لإظهار ما قدموه خدمة لمكة المشرفة بصفة عامة.

كما لوحظ عدم تعاطي العلماء الرحالة المغاربة في أمور السياسة إلا فيما ندر مثل الشيخ محمد بن سليمان الروداني، ويبدو أن هذا الأمر عائدٌ إلى ما درج عليه الأشراف من عدم السماح لغيرهم في تصريف أمور الحرمين الشريفين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

## ثبت المصادر والمراجع

**المخطوطات:**

[١] *الشلي*، محمد بن أبي بكر بن أحمد بن أبي بكر بن عبد الله (ت ١٠٩٣ هـ / ١٦٨٢ م): *كتاب عقود الجواهر في أخبار القرن الحادي عشر*، مخطوط بمكتبة عارف حكمت (رقم ٤٥٣، عدد صفحات المخطوط ٣٤١)،

[٢] *العجيمي*: محمد حسن (ت ١١١٣ هـ / ١٧٠١ م) *مخطوط خبايا الزوايا*، مصور بمكتبة الحرم المكي الشريف رقم (١١٣٦) تراجم، نسخ عبد الستار الدهلوي، تاريخ النسخ ١١ / ٥ / ١٣٢١ هـ. عدد الأوراق ٢٢٥. مقاس ٥، ٢٥ / ١٩، تاريخ التصوير ٢٠ / ٨ / ١٤٠٣ هـ. تصوير عبد المنعم دوش.

**المصادر:**

[٣] *أبو الخير*، الشيخ عبد الله مرداد: *المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر*، إختصار وترتيب وتحقيق محمد سعيد العامودي وأحمد علي، جدة، عالم المعرفة، ط ٢، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.

[٤] *الطبري*، علي بن عبد القادر (ت ١٠٧٠ هـ / ١٦٥٩ م): *الأرج المسكي في التاريخ المكي وتراجم الملوك والخلفاء*، إشراف سعيد عبد الفتاح، تحقيق وتقديم أشرف أحمد الجمال، مكة المكرمة، مكتبة مصطفى أحمد الباز، ط ١، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦ م.

[٥] *الطبري*، الجمال الأخير محمد بن علي بن فضل (ت ١١٧٣ هـ / ١٧٦٠ م): *تاريخ مكة إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن*، تحقيق د / محسن محمد حسن سليم، القاهرة، دار الكتاب الجامعي، ط ١، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م.

[٦] *العصامي*، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك (ت ١١١١ هـ / ١٦٩٩ م): *سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي*، المكتبة السلفية، القاهرة، د. ت.

[٧] ومقابلة نصوص نبيل خالد الخطيب، دار الفكر، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م. د. ت. ٤ / ٢٧٢، ٢٧٥، ٢٧٧؛ *العياشي*، عبد الله بن محمد (ت ١٠٩٠ هـ / ١٦٧٩ م): *الرحلة العياشية للبقاع الحجازية المسمى ماء الموائد*، تحقيق وتخريج وتعليق الشيخ أحمد فريد المزيدي، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠١١ م.

[٨] *جار الله بن فهد*، جار الله ابن فهد ابن العز ابن فهد (ت ٩٥٤ هـ / ١٥٤٧ م): *كتاب نيل المنى بذيل بلوغ القِرى لتكملة إتحاف الورى (تاريخ مكة المكرمة من سنة ٩٢٢ هـ إلى ٩٤٦ هـ)*، تحقيق د / محمد الحبيب الهيلة، مؤسسة الفرقان، ط١، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م.

[٩] *ابن فهد*، العز عبد العزيز بن النجم بن فهد المكي (ت ٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م): *بلوغ القِرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى*، تحقيق ودراسة صلاح الدين بن خليل إبراهيم وعبد الرحمن حسين أبو الخيور وعليان بن عبد العالي المحلبدي، القاهرة، دار القاهرة، ط١، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٥ م.

[١٠] *القادري*، محمد بن الطيب (ت ١١٨٧ هـ / ١٧٧٣ م): *كتاب إلتقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر*، تحقيق هاشم العلوي القاسمي، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط١، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م.

[١١] *القطبي*، عبد الكريم (ت ١٠١٤ هـ / ١٦٠٥ م): *إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام*، علق عليه أحمد محمد جمال وعبد العزيز الرفاعي وأشترك في التعليق على هذه الطبعة د / عبد الله الجبوري، الرياض، دار الرفاعي، ط ١، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م.

[١٢] *القلقشندي*، أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م): *صبح الأعشى في صناعة الإنشا*، شرح وتعليق ومقابلة نصوص نبيل خالد الخطيب، دار الفكر، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م. د. ت.

[١٣] *المحبي*، محمد فضل الله بن محب الله (ت ١١١١هـ / ١٦٩٩ م): *خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر*، بيروت، دار صادر، د. ت.

[١٤] *النهروالي*: محمد بن أحمد بن محمد (٩٩٠ هـ / ١٥٨٢ م): *كتاب الأعلام بأعلام بيت الله الحرام*، تحقيق د / علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط ١، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤ م.

**المراجع:**

[١٥] *باشا*، إبراهيم رفعت (ت ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٥ م): *مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية، محلاه بمئات الصور الشمسية*، بيروت، دار المعرفة، د. ت.

[١٦] *بوزيد*، أحمد: *محمد بن سليمان الروداني من أعلام المغرب في القرن الحادي عشر الهجري*، منشورات عكاظ، د. ت،

[١٧] *الدكالي*، محمد بن علي: *الإتحاف الوجيز" تاريخ العدوتين"*، تحقيق مصطفى بوشعرك، سلا – المغرب، منشورات الخزانة العلمية الصبحية، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م. الرباط، مطبعة المعارف الجديدة.

[١٨] *التازي*، عبد الهادي: *رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة*، مراجعة عباس صالح طاشكندي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، فرع موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م.

[١٩] *عبد الغني*، عارف: *تاريخ أمراء مكة المكرمة من ٨ - ١٣٤٤ هـ*. دمشق، دار البشائر، ط ١، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م.

[٢٠] *الكتاني*، عبد الحي بن عبد الكبير: *فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات*، إعتناء د / إحسان عباس، بيروت – لبنان، دار الغرب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م.

[٢١] *مخلوف*، محمد بن محمد (ت ١٣٦٠ هـ / ١٩٤١ م): *شجرة النور الزكية في طبقات المالكية*، دار الفكر، د. ت.

**المعربات:**

[٢٢] *باشا*، أيوب صبري: *مرآة جزيرة العرب*، ترجمة وتقديم وتعليق د / أحمد فؤاد متولي ود / الصفصافي أحمد مرسي، دار الرياض، ط ١، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م.

[٢٣] *بوركهارت*، جون لويس (ت ١٢٣٣ هـ / ١٨١٧ م): *رحلات في شبه جزيرة العرب*، ترجمة د / عبد العزيز الهلابي وعبد الرحمن الشيخ، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م.

[٢٤] *جارشلي*، إسماعيل حقي أوزون: *أمراء مكة المكرمة في العهد العثماني*، ترجمة د / خليل علي مراد، منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، شعبة دراسات العلوم الاجتماعية (٧٥). ط ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م.

[٢٥] *جلبي*، أوليا (ت ١٠٩٤ هـ / ١٦٨٢م): *الرحلة الحجازية*، ترجمة د / الصفصافي أحمد مرسي، القاهرة، دار الأفاق العربية، د. ت.

# Example of the participation of Moroccan travelers in Meccan society in the 11th Hijri century 17 AD

**Dr. Awatif Mohammed Nawwab**
Associate Professor in History department
Umm Al-Qura University

**Abstract.** Many Islamic nationalities lived in Makah during the century of 11 AH / 17 G for either long or short period and perhaps some of them spent the rest of his life there. These nationalities have contributed to the civilization and culture of Mecca supervisor.

Among those who have lived in Mecca Moroccans, who were the apostles of science, culture and history, among whom was the devoted his life to serve Makah society, and some were issued for Science and authoring, and some were his political authority served by the Makah society, the situation in Mecca was politically convenient and helped the stability of the Islamic communities, in addition to what he receives Moroccan scientists of mutual respect between them and the supervision of Mecca "Al-Ashraf" and resulted in a scientific vogue, especially in the science of hadith, and made that century the Century of Hadith Scholars.